مشروع النهوض بتعليم العربية وتعلمها

د. مُحَمَّد حسان الطيان

أستاذ اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة

عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

htayyan@aou.edu.kw

مشروع النهوض بتعليم العربية وتعلمها

د. مُحَمَّد حسان الطيان

تمهيد

ليس مقرر اللغة العربية مجرد مقرر عادي يجتازه الطالب بسهولة أو بصعوبة ثم يأتي غيره ليتابع فيه رحلة التعلّم، بل هو مقرر أساسي يبقى لصيقًا به إلى أن تنتهي سني دراسته المتتابعة سنةً سنةً، والأهم من ذلك والأخطر أنه الوسيلة لفهم سائر المقررات، لأن اللغة هي آلة التعلُّم لكل مقررات العلم من حساب وجبر وهندسة وعلوم وفيزياء وكيمياء وتاريخ وجغرافية.

إنها مفتاح المعرفة لكل علم من العلوم، بل هي أبعد من ذلك وأعظم، لأنها أداة التفكير، ووسيلة التواصل، ومفتاح عبقرية الأمة كما يقول ستاندال[1]، فلا فكر سليم دون لغة سليمة، و"إذا دبَّ خللٌ في اللغة دبَّ خللٌ في التفكير"[2] ولا علمَ صحيح دون لغة صحيحة، وإذا تعلم المرء علومه الأساسية بلغة غير لغته الأم وقع في التشويش.

من هنا كان لزامًا علينا أن نعير مسألة اللغة كلَّ العناية الممكنة، وكان لزامًا علينا أيضا أن نعيد النظر في طرائق تعليمنا لهذه اللغة، إذ لا يُعقل أن يقضي طالبنا زهاء ثنتي عشرة سنة في تعلُّم العربية ثم لا يستطيع أن يقيم لسانه بعبارة، أو قلمه بكتابة فقرة.

ثمة خللٌ واضحٌ بيّنٌ إذن في مناهج تعليمنا، وطرائق اكتساب طلابنا للغتهم، وما لم يُصلَح هذا الخلل من بداية التعلم فإن إصلاحه بعد ذلك جدُّ عسير، لأن خير سني اكتساب اللغة إنما هي السنوات الأولى من التعليم وما قبلها أيضا.

وقد قضيت في تعلُّم اللغة العربية وتعليمها أكثر من خمسين عاما، كانت فيها هذه العربية همّي وسَدَمي، وعشقي وحِبّي، بل كانت قضيتي الأولى، ما قدَّمتُ عليها قضيةً، ولا

---

١ العرب والخيار اللغوي ص٩٥

٢ ملامح من بيان العربية وجمالها ص١٣٦.

نافسها في القلب لغة، أصفيتُها ودِّي، ومنحتها قلبي، وفَرَغت لها أرقب كلَّ طور فيها، أذود عنها، وأتَتَبَّع كل ما يقرِّب منها، وأحارب كل ما يُبعد عنها.

ومن هنا جاء هذا المشروع، محاولةً لرصد كل ما يمكن أن يسهم في إصلاح عملية تعليم العربية، بدءًا من مدرسها، ومرورًا بطرائق تدريسها ، وانتهاءً بمناهجها ومحتوياتها.

إنها مقترحات مجرَّبة، تمخضت عن تجربة، بل عن تجارب كثيرة عشتُ فيها وعايشتُها مذ كنتُ في السادسة من عمري إلى أن ذرَّفتُ على الستين...

وفيما يأتي بيان هذه المقترحات:

أولًا: إعداد المعلم الإعداد السليم المناسب

تتفق كل الدراسات التربوية على أن المعلم هو حجر الأساس في العملية التعليمية، وأنه أحد أهم العناصر التي يناط بها نجاح التعليم وتطوير الأداء ورفع مستوى التلاميذ[٣]

وقد أكدت المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) هذه الأهمية للمعلم غير ما مرة، إذ نصت الجلسة الخامسة والثلاثون من المؤتمر الدولي للتعليم المنعقد عام ١٩٧٥ على "أنه مهما تكن التغييرات الحادثة في النظام التعليمي، فإن علاقة المعلم بالتعليم هي محور العملية التعليمية"[٤]

ومن هنا فإن إعداد المعلم، أو إعادة النظر في إعداده، يتصدر قائمة السبل الكفيلة بارتقاء تعليم العربية، فإذا لم يكن المعلم متمكنا من ناصية اللغة فلا تنتظر منه العطاء، وإذا لم يكن عاشقا لهذه اللغة فلا تتوقع منه الوفاء، وإذا لم يكن متأثرا بنصوصها عارفا بأسرارها فلا تنتظر منه التأثير. إذ فاقد الشيء لا يعطيه، وكل إناء ينضح بما فيه، وهذه أهم مقومات الإعداد[٥]:

---

٣ اللغة العربية والتعليم – رؤية مستقبلية للتطوير ص ٢٣٧.

[٤] اللغة العربية والتعليم – رؤية مستقبلية للتطوير ص ٢٣٨.

[٥] انظر اللغة والمتغير الثقافي–الواقع والمستقبل، د. عبد الله التطاوي ٤٦–٤٩.

أ – التمكُّن من العربية نطقًا وفهمًا وكتابةً وخطًّا

ويستوجب ذلك حبًّا للعربية أولًا، ووعيًا بأهميتها ورسالتها وأثرها، ثم دراسةً لها وفهمًا لنصوصها وإدراكًا لقواعدها وأحكامها لا يقتصر على الدراسة الجامعية، بل يتعداها إلى مرحلة الحب والتفاعل مع كل المهارات اللغوية المطلوبة، بدءًا من الطلاقة والفصاحة والقراءة الصحيحة، ومرورًا بالفهم والإدراك الواعي لعلوم اللغة المختلفة، وانتهاءً بالكتابة السليمة.

ولا ريب أن للطلاقة والفصاحة أثرًا عظيما في تحبيب العربية للطلبة، وإيصال المعلومة إليهم، وتفاعلهم مع مدرسهم وتواصلهم.[٦]

وتذكرني الطلاقة والفصاحة والقراءة الصحيحة بما كان خريج قسم اللغة العربية بجامعة دمشق يُطالَبُ به كي يتخرج، وهو المقابلة أو الامتحان الشفوي، إذ يمتحن بقراءة نصٍّ في كتاب تراثي، ليسأل عنه أسئلة في الفهم والإعراب والبلاغة والعروض... تُؤْذِن نتيجته بمبلغه من العلم بالعربية من جهة، وبقدرته على النطق بها والخطاب من ناحية أخرى. وما أحوجنا اليوم إلى إعادة هذا الامتحان الشفوي قبل التخرج، ولدى القبول في سلك التربية والتعليم.[٧]

ولا بد أن يجمع إلى ذلك الخط الحسن، فهو وسيلة رائعة من وسائل تقبل اللغة ومحبتها لدى الطالب، والقلم أحد اللسانين كما قيل، وكلُّ مَنْ عَرَف النِّعمةَ في بَيان اللسانِ، كان بفضل النِّعمة في بيانِ القلم أعرَف[٨]، فإذا امتلك المعلم قلما حسنا وحسا رفيعا كان في يده أمضى سلاح.

ولي قلمٌ في أنملي إن هززتهُ فما ضرَّني ألا أهزَّ المهنَّدا

وحسبك بالقلم شرفا أن الله جل وعلا وصف نفسه تعالى جده بأنه علم بالقلم: "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم"[٩]. كما أقسم بما يُخَطُّ به فقال: "ن والقلم وما يسطرون"[١٠].

---

[٦] اللغة العربية والتعليم – رؤية مستقبلية للتطوير ص ٢٤٢.

٧ اللغة والمتغير الثقافي–الواقع والمستقبل، د. عبد الله التطاوي ٤٧.

٨ الحيوان للجاحظ ١/ ٥٨.

٩ سورة العلق ٣ — ٤.

وقد قلت مرة في وداع مدرِّس يمتلك ريشة رائعة يخطُّ بها ما يكتبه لطلبته:

"وأما أنت فأستاذ فنان، يمتزج العلم عندك بالفن، وإذا امتزج العلم بالفن كان أمرا عجبا، وآتى أكله طيبا. ولا ريب عندي أنك كسب عظيم في كل مكان تحل فيه، وفقك المولى وسدد في طريق الخير خطاك".

ب – إتقان القرآن الكريم

القرآن مفتاح العربية، فبِهِ عُرفتْ، وبه انتشرتْ، وبدِيمتِهِ اهتزَّتْ وربَتْ، ولخدمتِهِ أينعتْ وأثمرتْ، ومن أجله نشأت علومها، وتنوعت فنونها، وباصطفائه لها شرُفت ونبهت وانتقلت من المحلية إلى العالمية، ومن القبلية إلى الأممية، فغدت لغة الأمة الإسلامية.

ومن ثم كان الارتباط وثيقًا بين العربية والقرآن، وكان هذا الارتباط من أهم عوامل تقوية اللغة[11] وترسيخها واستمرارها.

وأعني بالإتقان هنا الإلمام بعلوم القرآن المختلفة قراءةً وترتيلًا وفهمًا وتفسيرًا وحفظًا وواعيةً، وكلما كان الإتقان أجود، كان التمكن من العربية أوضح، وأشهد أني ما رأيت تمكنًا من لغة العرب إلا وخلفه مَكِنَةٌ من كتاب الله جل وعلا، ولا رأيت ضعفا في هذه اللغة إلا وخلفه ضعف في كتاب الله جل وعلا، وما أفلح من أفلح من معلمي العربية ومدرِّسيها، بل من أدبائها وكتّابها وشعرائها إلا بإتقانهم لهذا الكتاب، يستوي في ذلك مسلموهم وغيرهم، واقرأ إن شئت تراجم كبار الكتاب من مثل اليازجي والبستاني ومكرم عبيد وطه حسين والرافعي والطنطاوي وغيرهم.. تجد أنهم صدروا في معرفتهم وأدبهم عن هذا الكتاب الخالد.

قال المؤرخ المعاصر المعروف نقولا زيادة:

---

١٠ سورة القلم ١.

١١ مستقبل اللغة العربية ص٣١.

"علينا أن نتقن لغتنا، وإتقان هذه اللغة يقضي بأن يقبل كل واحد منا على القرآن الكريم فيفهمه فهما صحيحا. أما المسلم فله في ذلك أجره عند ربه، وأما الباقون فلهم على ذلك أجرهم عند أنفسهم وعند أبنائهم الذين يربونهم عندئذ تربية عربية خالصة"[١٢]

وهو ما أوصى به الشاعر القروي رشيد سليم الخوري إذ قال:

"علّموا القرآنَ والحديثَ ونهجَ البلاغة في كل مدارسكم وجامعاتكم"

وهذا بين واضح لكل ذي لب لأن علوم العربية على اختلافها إنما نشأت في رحاب القرآن الكريم حفظاً له، ورواية لقراءاته، ودراية بمعانيه، وفهماً لدلالاته، وتذوقاً لبلاغته، ووقوفاً على أسراره وخباياه. ومن هنا أجمع الباحثون في علوم اللغة على أنه لولا القرآن ما كانت العربية.

وفي هذا يقول أستاذنا الأستاذ سعيد الأفغاني رحمه الله:

"بين علوم القرآن وعلوم اللغة العربية ترابط محكم فمهما تتقن من علوم العربية وأنت خاوي الوفاض من علوم القرآن فعلمك بها ناقص وهي الأساس وقدمك فيها غير ثابته، وتصورك للغة غامض يعرضك لمزالق تشرف منها على السقوط كل لحظة، وسبب ذلك واضح لكل من ألمَّ بتاريخ العربية، فهو يعلم حق العلم أنها جميعاً نشأت حول القرآن وخدمةً له"[١٣].

ج – التدريب المستمر

من لم يكن في زيادة فهو إلى نقصان، والعلم ما لم يتعهدْهُ صاحبه بالعناية والتدريب لا يؤتي أُكُلَهُ طيِّبًا، والمعلم الذي لا يتوفر على علمه ولا يتابع ما ينشر في فنه واختصاصه يذبل علمه ويذوي فكره، ورحم الله القائل:

فأدِمْ للعلمِ مذاكرةً فحياةُ العلمِ مذاكرتُهْ

جاء في خزانة الأدب للبغدادي:

---

[١٢] مجلة العربي تموز ٢٠٠٤.

[١٣] من مقدمة تحقيقه لكتاب حجة القراءات لابن زنجلة.

"قال المرزباني في الموشح: أخبرني الصولي، قال: حدثني يحيى بن علي قال: قال أبو جعفر مُحَمَّد بن موسى المنجم: كنت أحبُّ أن أرى شاعرين فأؤدبَ أحدهما، وهو عديُّ بن الرقاع، لقوله:

وعلمتُ حتى ما أسائلُ عالماً عن علمِ واحدةٍ لكي أزدادَها

ثم أسائله عن جميع العلوم، فإذا لم يجب أدبتُه على قوله. وأقبِّل رأس الآخر، وهو زيادة بن زيد، لقوله:

إذا ما انتهى علمي تناهيتُ عندَهُ أطالَ فأملى أم تناهى فأقصرا"[١٤]

أوردت هذا الخبر لأدلِّلَ على أهمية الاستمرار في التعلُّم، وفي طلب العلم، ولاسيما علم العربية فهي بحر عميق الغور، و"كلام العرب لا يحيط بِهِ إِلاَّ نبيّ"[١٥]. كما قال إمامنا الشافعي رحمه الله.

ومعلِّم العربية بحاجة دائمة إلى مطالعة كتبها والاستزادة من علومها وآدابها، وتتبع أخبارها ونشاطاتها، ومما يعينه على ذلك:

١ – حضور مجالس علمية تعنى بقراءة كتب الأدب والنحو واللغة، كالبيان والتبين، والكامل ومغني اللبيب والخصائص والكشاف.

٢ – صحبة علماء العربية من مجمعيين وأساتذة جامعات ومشايخ.

٣ – حضور المحاضرات والمؤتمرات والندوات التي تعنى بأمر العربية.

وليكن شعاره دوما قول الشاعر:

إذا مرَّ بي يومٌ ولم أتخذْ يداً ولم أستفدْ علمًا فما ذاكَ من عمري

---

١٤ خزانة الأدب للبغدادي ١١/١٧٥.

١٥ الصاحبي في فقه اللغة ٢٤.

ثانيا: الكفاية

لا بد أن يكون المعلم مكفيًّا، أي عنده ما يكفيه، وهذا أساس مهم من أسس التربية، إذ كيف يؤمَّل النفعُ من مدرس لا يسد راتبُه رمقَه ولا يكفيه إلى آخر شهره، إنه سيتطلَّع بلا ريب إلى ما يمكن أن يتمِّم به معيشته، وإن أخلَّ ذلك بتعليمه وتدريسه، بل قد يرى البعض في عدم أداء المهمة على وجهها نوعا من أنواع الكسب، إذ لابد للطالب عندها من الاعتماد على الدروس الخصوصية، التي لا يجدها إلا عند هذا المعلم وأقرانه من المقصِّرين في تدرس الطلبة في المدارس، فإذا جاء الدرس الخصوصي انشرحت صدورهم، وفاضت علومهم، ونفعوا وانتفعوا، على حدِّ قول الشاعر:

إن المعلمَ والطبيبَ كليهما لا ينفعانِ إذا هما لم يُكرما

إن أول تخريب للعملية التعليمية، يبدأ من إفقار المعلم، وعدم احترامه وتوقيره وتبجيله، وقد حثَّنا الشرع الحنيف على توقير أهل العلم، وإنزالهم المنزلة اللائقة بهم، فقال جل وعلا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١٦]. وقال أيضا: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١٧] وقال رسولنا الكريم ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا»[١٨] والمعلم كبير وينبغي أن يظل كبيرا.

جاء في البيان والتبيين: "وخطب زياد فقال: استوصُوا بثلاثةٍ خيراً: الشريف، والعالم، والشيخ، فوالله لا يأتيني شريفٌ بوضيع استخَفَّ به إلاّ انتقمتُ له منه، ولا يأتيني شيخ بشابٍّ استخَفّ به إلا أوجعتُه ضرباً، ولا يأتيني عالمٌ بجاهل استَخفَّ به إلاّ نكّلتُ به."[١٩]

وقال أمير الشعر شوقي:

---

١٦ سورة الزمر٩.

١٧ سورة (المجادلة١١.

١٨ رواه الحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن عمر رقم ٢٠٩. المستدرك ١٣١/١.

١٩ البيان والتبيين ١٤٥/٢.

قم للمعلم وفِّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

أرأيتَ أشرفَ أو أجلَّ من الذي يبني وينشئ أنفسا وعقولا

يا أرضُ مذ فقدَ المعلمُ نفسَهُ بين الشموس وبين شرقِك حيلا

فكيلا يفقد المعلم نفسه، وكيلا يُحال بين الناس وبين العلم، على أولي الأمر أن يبادروا إلى إصلاح أمره، وإعطائه ما يكفيه، لأن في ذلك إنقاذا للأمّة من شرٍّ يراد بها، والله المستعان على كل بلية.

ثالثًا: المحبة

أعني المحبة بين المعلم وطلبته، أي حب المعلم لطلبته وحب الطلبة لمعلمهم، فهو السبيل الأقصر إلى علمه وفضله، وكلما كانت هذه المحبة عامرة كان الانتفاع بالمعلم أكثر، لأن الطالب مولع بمحاكاة من يحب، فإذا أحب مدرسه حاكاه، وإذا حاكاه حاول أن يبلغ شأوه، وينال علمه، ومن ثم كانت المحبة أيسر السبل إلى علم المعلم.

يقول عالم النفس السويسري كارل يونج: " يعتبر القلب الذكي المتعاطف كل شيء في المدرس، ولا يمكن لأحد أن يقدره حق قدره، إن المرء ينظر بامتنان أكثر لأولئك الذين أثروا في مشاعرنا الإنسانية، ولا أحد ينكر أن المنهج الدراسي على قدر كبير من الأهمية كمادة خام، ولكن الدفء هو العنصر الحيوي لنباتات الآخذة في النمو وكذلك روح الطفل"[٢٠].

وأنا أقول وكذلك روح المتعلم طفلا كان أم شابا يافعا، فهي بأمس الحاجة إلى هذا الدفء، وبقدر حبها لمعلمها تكبر استفادتها منه وتعظم.

---

[٢٠] أفضل النصائح للمعلمين، لتشارلز ماكجوير وديانا أبيتز، ص ٤. نقلا عن كتاب كيف تكون معلما مؤثرا للأستاذ بدر حسين ص ٩٢.

والحق أني لا أعرف مدرسا من مدرسي الجامعة كان أكثر نفعا وفائدة لعموم الطلبة من أستاذنا العلامة عاصم البيطار، وقد قابلتُهُ منصرفي من حضور مناقشة للدكتوراه في كلية الآداب بجامعة دمشق فسلمتُ سلام المشتاق لأستاذٍ باعدت بينه وبين تلامذته الأسفار، ثم قلت له: مازلت أذكر يا سيدي أنك أكثر من درّس في قسم اللغة العربية نفعًا للطلبة وإفادة لهم، وبناءً لقاعدتهم النحوية، فما سرُّ ذلك؟

فأجاب: يا بني لقد كنت في غابر أيامي مدرسًا للعربية في ثانويات دمشق. وعندما خِير لي أن أدرّس النحو في الجامعة أخذتُ للأمر أُهبتَه وأعددتُ له عدته، واحتشدتُ له بكل ما أملك، فلم أدع مرجعًا للنحو إلا عدت إليه، عاكفًا عليه، باحثًا فيه، وأخبرت والدي الشيخ بهجة البيطار – رحمه الله– فقال: يا بني حسنًا صنعت، ولكن عليك قبل ذلك أن تصل إلى قلب الطالب، فإذا أحبك الطالب انتفع بك وأفاد منك، وإلا أعرض عنك ولم يفد من علمك شيئًا.

اجعل علاقتك بطلبتك علاقة ودٍّ ومحبة، فإذا أفلحت في ذلك أوصلت إليهم ما تريد من معرفة، وإلا بقيت معرفتك لنفسك. ابنِ مع الطالب جسرًا تعبر فيه إلى قلبه، فإذا ملكتَ قلبه أمكنكَ من عقله.

وكذا كان... فالطلبةُ كل الطلبة كانوا يُجمعون على حب الأستاذ عاصم. والطلبة كل الطلبة كانوا يحضرون محاضرة الأستاذ عاصم، والطلبة كل الطلبة كانوا يفيدون من علم الأستاذ عاصم..والطلبة كل الطلبة كانوا ينهلون من علم الأستاذ عاصم.

وجهٌ عليهِ من الحياءِ سماحةٌ ومحبَّة تجري مع الأنفاسِ

وإذا أحبَّ اللهُ يومًا عبدَهُ أجرى عليهِ محبةً في الناسِ[٢١]

[٢١] العقد الفريد ٢٢٧/١.

وإذا صحَّ ذلك في أستاذ الجامعة فأحرِ به أن يصحَّ في معلمي المراحل الأولى، حيث العاطفة هي الغالبة، والقلوب هي الحاكمة، والعلاقة بين المعلم وتلامذته علاقة أبوة وبنوة ومحبة، لا علاقة سطوة وخوف وكراهية.

ولا ريبَ أن المحبة تحتاج إلى عطاءٍ وبذلٍ وزرعٍ وحرثٍ، وهي جماعُ أمورٍ ما اتصف بها أحد إلا نالها، وفيما يأتي بيانها:

أ – لين الكلمة وطلاقة الوجه:

لين الكلمة بوّابة القلوب، وطلاقة الوجه مفتاح المحبة. والابتسامة خير رسالة، وأنجع لقاء بين المعلم وطلابه، وهذا من هدي المصطفى ﷺ الذي كان بسّاما، وهو القائل: " تبسّمك في وجه أخيك صدقة"[٢٢].

وقد حثنا الشرع الحنيف على هذا اللين وتلك الطلاقة، إذ قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾٢٣. وقال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾٢٤.

وقال:﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾٢٥ . وقال: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴾٢٦ .

وعلمنا رسولنا ﷺ أن الكلمة الطيبة صدقة. ومَنْ أحقُّ بهذه الصدقة من طلبة العلم. وهي بعدُ من الإحسان، وقد جُبِلت النفوس على حبِّ من أحسن إليها.

---

[٢٢] صحيح ابن حبان ٢/٢٢١. وانظر كتاب كيف تكون معلما مؤثرا للأستاذ بدر حسين ص ٩٢.

٢٣ سورة البقرة ٨٣.

٢٤ سورة طه ٤٤

٢٥ سورة الإسراء ٢٣.

٢٦ سورة الإسراء ٢٨.

وقديمًا قيل : من لانَتْ كلمتُه وجبتْ محبتُه[٢٧] وحسنتْ أحدوثته وظمئتْ القلوبُ إلى لقائه وتنافست في مودته[٢٨]. وسُمع بعض الأعراب يقول لولده:

أبنيَّ إنّ البرّ شيء هيّنْ وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليّنْ

وما أصدق قول القائل:

وما اكتسبَ المحامدَ طالبوها بمثلِ البشرِ والوجهِ الطليقِ[٢٩]

وقال الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء: طلاقة الوجه عنوان الضمير بها يُستنزل الأمل البعيد. وقيل: حسنُ البِشْر اكتساب الذكر. البشاشةُ مصيدةُ المودة[٣٠].

وقال العلامة مُحَمَّد البشير الإبراهيمي في وصيته للمعلمين: " إنكم تجلسون من كراسي التعليم على عروش ممالك، رعاياها أطفال الأمة، **فسوسوهم بالرفق والإحسان**، وتدرجوا بهم من مرحلة كاملة في التربية إلى مرحلة أكمل منها."[٣١]

ب- لين الجانب والتواضع والإنسانية:

تواضع المدرس لطلابه ولين جانبه - دون النيل من هيبته ومكانته - يقرّب منه طلابه، ويجعلهم أحبابه، ويزيل حاجز الخوف والقلق والجزع من نفوسهم، لتحل محلها الطمأنينة والأنس والشوق، وقد قيل:من ذهبت كلفتُه دامت ألفتُه.

---

[٢٧] من أمثال العرب، انظر البيان والتبيين ١٧٤/٢، ومجمع الأمثال ٣٢٧/٢.

[٢٨] غرر الخصائص الواضحة للوطواط ٢١/١.

٢٩ عيون الأخبار ٩٤/١.

[٣٠] محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٣٤٠/١.

٣١ مع المعلمين، د. مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، ص ١٠.

والتواضع ولين الجانب لا يعنيان الضعف والخَوَر والفراغ، بل عكس ذلك هو الصواب، لأن الكبير والمليء هو الذي يلين لغيره واثقا من علمه وفضله ومكانته، أما الصغير والفارغ فإنه يبحث دوما عما يعوض نقصه ويجبر ضعفه فيلجأ إلى الكبر والغرور، ويصطنع المعرفة والفهم وهما منه براء.

ملأى السنابل تنحني بتواضعٍ والفارغات رؤوسهنَّ فوارغُ

كتبتُ مرة في وصف معلمي الذي علمني في الصف الأول الابتدائي (وهو الأستاذ المربي عدنان الجوهرجي حفظه الله وحماه):

".. على أن الله الذي وسعت رحمته السماوات و الأرض رحمني فقذف بي في أحضان معلم لقيتُ عنده الشفقة بعد القسوة والرحمة بعد العذاب والطمأنينة بعد الخوف، ذلكم هو المربي الفاضل الأستاذ عدنان الجوهرجي الذي نعمتُ برعايته وكلئِهِ وعنايته في الصف الأول الابتدائي بعد أن انتقلت إلى مدرسة عمرو بن العاص الرسمية أو الميرية كما كنا نسميها في ذلك الزمان.

كان الأستاذ عدنان يرعانا رعاية الأب لأولاده، ويحنو علينا حنو الأم على فلذات أكبادها، وبالرغم من أنني لم أكن بعدُ مجتهداً ولا متفوقاً آنذاك، كنت أشعر في كنفه بالأنس والطمأنينة والعطف والسكينة بعد طول معاناة من الجور والظلم والعنف والإرهاب.

و قيدتُ نفسي في ذَراك محبة ومن وجدَ الإحسانَ قيداً تقيَّدا

... ولا بد لي أن أذكر هنا خُلقاً نبيلاً في أستاذنا الجوهرجي يعزّ وجوده لدى كثير من المعلمين، ذلك هو التواضع المحبب والتقدير البالغ لمن نبغ من طلابه.."[٣٢]

---

٣٢ من رجالات دمشق ٣٤١ – ٣٤٣.

ج – التشجيع

على المدرس أن يغرس في نفوس طلابه الأمل ليجني أطيب ثماره، وعليه أن يزيّن لهم النجاح ليحصلوا عليه، وعليه أن يأخذ بأيديهم إلى سبل الخير ليرتادوها، وليكن على ذُكر من أن الواثق بالنجاح يستجرُّ إليه كل أسباب النجاح، والمتفائل بالخير يجده أمامه، فليزرع في نفوس طلابه هذه المعاني، وليشجعهم عليها، وإذا ما لمح بذرة إبداع لدى بعضهم فليحرص عليها حرصه على كنز قد اكتشف ومنجم قد حفر، فلا شيء يمكن أن يعدل الاستثمار في البشر،وبذلك تبنى الرجال وتنمو الأمم.

يبني الرجالَ وغيرُهُ يبني القرى شتانَ بين قرًى وبين رجالِ

قلقٌ بكثرةِ مالهِ وسلاحهِ حتى يفرّقهُ على الأبطالِ[٣٣]

أذكر أن أحد معلمينا في الصف الرابع الابتدائي (وهو الأستاذ مُحَمَّد القحف رحمه الله) كان يوكِلُ إليَّ أمر إملاء نص الإملاء على زملائي، وحلَّ مسألة الحساب، وبعض شؤون التعليم.. فزادني ذلك عطاءً ومضاءً..

وأذكر من أساتيذنا الذين زرعوا فينا الأمل وشجعونا الأستاذ الدكتور محمود الربداوي فقد كلفني وزميليَّ د. يحيى مير علم والأستاذ عدنان عبد ربه إعدادَ بحث عن أبي الفرج الأصفهاني، فلما أنجزناه، فسح لنا المجال لنرتقي منبر التدريس الجامعي في واحد من أكبر مدرجات كلية الآداب، حيث ألقينا أول محاضرة لنا على مسامع زملائنا في الكلية، وفيهم أستاذنا الجليل، ياله من موقف.. يمضي الزمان عليَّ لا أنساه!.

وما إن أنهينا الكلام حتى انبرى أستاذنا يعلق على المحاضرة، مستهلا تعليقاته ببيت رائع نُقش في ذاكرتي من يومئذ:

إنَّ الرجالَ صناديقٌ مغلقةٌ وما مفاتيحُها إلا التجاريبُ

---

٣٣ التذكرة الحمدونية ٢/٤٨.

ثم راح يكيل لنا من صنوف الثناء والإطراء والتشجيع والتأييد ما جعلَنا بحق أساتذةً في أرقى الجامعات، ومحاضرين في أعظم المؤتمرات، وباحثين في أهم الندوات.

على أن العجب العُجاب كان في إدراجه بحثنا ذاك مع بعض بحوث زملائنا (كالدكتور علي أبو زيد وقد غدا معاون وزير التعليم العالي ورئيس جامعة دمشق ، والدكتور محمود سالم وهو اليوم أستاذ في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق) في الأملية المقررة علينا وعلى أفواج أتت بعدنا، وما كان أشدَّ بهجتنا حين رأينا أسماءنا تتصدر تلك الأملية، لقد زرع فينا ثقةً لا تبلى.. ومحبةً لا تفنى.. وبصيرةً لا تعمى.

د- براعة الاستهلال

من أسباب نجاح المدرس أو المحاضر أن يستهلَّ درسه بما يشدُّ انتباه الحاضرين ويشوقهم للمتابعة والتحصيل، وكلما كان الاستهلال أبرع كانت الدرس أنجع.

مازلت أذكر كيف كنا ننتظر بشوق محاضرة الأستاذ عاصم البيطار فنجد فيها العلم والمتعة والمعرفة والأنس والفن والفكاهة والنحو والأدب. ما أذكر أنه بدأ درسا من دروسه كما يبدأ معظم الأساتذة دروسهم فيَلِجُون إلى موضوع بحثهم دون مقدمات أو استهلالات.

فكما أن لكل قصيدة مطلعًا يحشد فيه الشاعر كل فنه وبلاغته وظرفه وطرافته ،كذلك كان لكل درس من دروس الأستاذ البيطار مطلعٌ يأخذ فيه بيد الطلبة إلى بحر النحو العميق، فإما أن يبتدئ ببيتِ شعرٍ، أو آيةٍ كريمة، أو حديثٍ شريف، أو قصةٍ نادرة، أو خبرٍ طريف، أو مثلٍ معجب، أو قصيدةٍ وافاه بها طالب من الطلاب، أو حدثٍ كان له أثر في الناس والمجتمع، أو طرفةٍ يحكيها، أو حكمةٍ يرويها، أو حادثةٍ جرت له في الجامعة، أو من أحد من رجالات العلم الذين تطرب لذكرهم الأسماع وتشد لسيرتهم الألباب، ويحلو بحديثهم المكان والزمان. وما هو إلا أن تجد نفسك وسط بحث من بحوث النحو أو درس من دروس

الصرف، أو إعراب من الأعاريب أو تحليل من التحليلات، يرسمه الأستاذ على السبورة بخط بلغ الغاية في التجويد والإتقان والملاحة والإحسان،وكأنه اللوحة الساحرة أبدعتها ريشة فنان.

ويأتي كل ذلك سهلا ميسورا لا تكاد تجد فيه أيَّ عنَتٍ أو صعوبة، فما كان أحد في درس أستاذنا البيطار يشعر بملل أو يداخله الكلال، وما كان أحد في درسه ينصرف عنه بكلمة أو يتشاغل عنه بحديث، بل كان الجميع يستمعون وكأن على رؤوسهم الطير، ويحدجونه بأبصارهم وينصتون إليه بأسماعهم ويحفونه بقلوبهم.

أرأيت إلى الشاعر الملهم ينشد وسط الجموع قصيدة عصماء والقلوب تهفو إليه من كل جانب!...

أرأيت إلى الخطيب المصقع يهدر بخطبة عصماء والجموع تحيط به من كل جانب!...

أرأيت إلى الإمام الخاشع يؤم جموع المصلين يتلو آيات الرحمن يحبرها تحبيرا والمؤتمون مأخوذون بما يرتل متابعون لما يتلو! . كأني بالأستاذ البيطار كان كذلك رحمه الله وأسبغ عليه شآبيب مغفرته.

كان – والله – سمحًا سهلًا، كأنما بينه وبين القلوب نسب، أو بينه وبين الحياة سبب، وإنما هو عيادةُ مريض وتحفةً قادم وواسطةً عقد... رحمه الله وجزاه خيرا.

فتىً صِيغ من ماءِ البَشَاشَةِ وجهُه فأَلفاظُه جودٌ وأنفاسُه مَجْدُ[٣٤]

٣٤ مثالب الوزيرين ١/ ٥٠٠.

هـ – الإتحاف والإطراف والتفنن في العطاء

قلما دخلتُ قاعة درس أو محاضرة إلا وأنا مشغول بما يمكن أن أتحف به الحضور من نادرة أو فائدة أو شاذة أو فاذّة، ذلك لأن النفوس بطبعها تحب الإطراف، والطرفة: كل شيء مستحسن عجيب، والجمع طُرَف. والطريف الطيب النادر، والحديث المستحسن. وطرائف الحديث: مختاره. كأطرافه ج. طَرَف.

قال الشاعر:

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجةٍ ومَسَّح بالأركان مَنْ هو ماسحُ

وشُدَّت على دُهْم المهَارَى رِحَالُنا ولم يَنْظُر الغادي الَّذِي هو رائحُ

أخذْنا بأطراف الأحاديث بَيْنَنا وسَالَتْ بأعناق المطيِّ الأباطحُ[٣٥]

وقال خالد بن صفوان:

"خير الكلام ما طَرُفَتْ معانيه، وشرُفتْ مبانيه، والتذَّهُ آذانُ سامعيه."[36]

فالطرائف إذاً تشتمل على الهزل والجد، والجامع لها الجدة والاستحسان.

ويحسن بالمعلم أن يستعين بالكتب التي تعنى بأمر الطرائف والطرف، وهي كثيرة متنوعة، منها مثلا: العقد الفريد لابن عبد ربه، وربيع الأبرار للزمخشري، والمستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي...وغيرها.

كما يحسن به أن ينوع في عطائه، كي يبقى الطالب مشدودا إليه، على نحو ما قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه:

"حَدِّث النّاسَ ما حَدَجُوك بأبصارهم، وأذِنُوا لك بأسماعِهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترةً فأمْسِكْ".[٣٧]

---

[٣٥] أسرار البلاغة ٢١.

٣٦ ملامح من بيان العربية وجمالها ٧٣.

[٣٧] البيان والتبيين ١/١٠٤.

وسأورد فيما يأتي طرفا من مقال كتبته عن أستاذ كان آيةً في طرائق تدريسه، وتفنُّن عطائه، وهو الأستاذ أحمد المعتصم العذري رحمه الله تعالى:

"وهكذا كانت حصص العربية تمضي، تتخطّفها أفانين الأستاذ العذري، في نشاط لا يعرف الكلال، وجد لا يعرف الملل، وتنوعٍ في الأداء يحيط بكل معارف اللغة من نحو وإملاء وإنشاء، ونصوص وقرآن، فبينا ترى الأستاذ يشرح درسا أو يقرأ نصا إذا به يطرح سؤالا يثاب من يجيب عليه بزيادة درجة أو أكثر، أو يطلب إعراب كلمة يتنافس الطلبة في تقدير إعرابها، وإذا ما فرغ من تقرير درس دعا إلى مسابقة أو مبارزة يخرج فيها طالبان أو أكثر ليكتبا جملةً لا تخلو من نكتة نحوية أو إملائية على نحو يذكي القريحة ويقدح زناد الفكر ويحرك نوازع الإبداع.

أذكر أنه أملى علينا مرة قطعة تجمع صنوف الهمزات في الكتابة العربية ما بقي واحد منا إلا حفظها وتمثَّل بها وتندَّر بألفاظها، حتى إني أمليتُها على ولدي الأصغر عبادة بعد أكثر من أربعين عاما من حفظي لها، وكم كان سروري عظيما حين لم يخطئ في كتابة أي حرف منها، وهاكَها فاحفظها ودرّب طلابَك على همزاتها:

"قال الكأكائي لقوم تكأكؤوا عليه لمَ تكأكأتم عليَّ كتكأكُئِكم على ذي جِنَّة، افرنقعوا عني..." .

لقد كان الطلبة يتعلمون من هذه الطرائق والأساليب أضعافَ ما يتعلمونه في دروسهم المقررة وكتبهم المؤلفة.

لهُ في أفانينِ الكلامِ تَصَرُّفٌ وفي الشِّعرِ إحسانٌ وفي النَّثر إجمالُ"[٣٨]

[٣٨] الأستاذ العذري ..وأفانين التعليم. مقال نشر في كتاب ملامح من بيان العربية وجمالها ١١٦- ١٢١.

و – الالتزام بالوقت

جُبلت النفوس على الملل وحب التغيير، ومن ثم وجب على المدرس أو المحاضر أن يتقيَّد بالوقت المتاح، ،وألا يغريه بريق الكلام فينسى نفسه ومن حوله، لأن خير الكلام ما قلَّ وجلَّ ودلَّ ولم يملَّ. كما قال البحتري.

ولاشك أن تقسيم المحاضرة إلى فترتين بينهما راحةٌ خيرٌ من المواصلة، لأن الطالب يتجدَّد نشاطه بمثل هذه الراحة، وكذا المحاضر، فيقبل كلاهما عليها إقبالا نشيطا.

وما أحسن ما كان يفعله أحد أساتيذنا في مرحلة الثانوية العامة، وهو الأستاذ محيي الدين سليمة إذ كان يغلق فمه مع صوت الجرس في حركة تدعو كل الطلبة إلى الغبطة والفرح والسرور، مع ما كان يتمتع به من خفة ظل وتنوع عطاء وسلاسة[٣٩]، جزاه المولى عنا خير الجزاء.

ز – حسن السمت والهيئة:

درجت بعض المسلسلات والأفلام على تشويه صورة معلم العربية وإبرازه على نحو مهترئ الصورة شكلا ومضمونا، وهي صورة طبعت في أذهان الطلبة، تستوجب التغيير والتحسين وإعادة الوضاءة[٤٠].

ولا ريب أن حسن السمت والهيئة يريح نظر المتلقي ويؤثر فيه. ومن طريف ما يروى أن الأستاذ الجليل سعيد الطنطاوي – حرس الله مهجته وأمتع به – دخل دار المعلمات بدمشق محاضرا وهو ينتعل نعلا ذات شِراك بالية (شحّاطة) فتضاحكت منه الطالبات وهن يُشرْنَ إلى نعاله، فما كان منه إلا أن جاء في اليوم التالي بحذاء جديد وضعه على منبر

---

٣٩ من رجالات دمشق (الأستاذ محيي الدين سليمة وسلاسة التعليم) ص ٣٨١ – ٣٨٥.

[٤٠] اللغة والمتغير الثقافي–الواقع والمستقبل، د. عبد الله التطاوي ٤٨.

التدريس، وجلس لا ينبِس ببنت شفة، ولما كثر اللغط وسُئِل عن سبب فعله، أشار إلى الحذاء قائلا هذا أستاذكم فخذوا عنه علمكم.

وأنا لا أروي هذه القصة ليقتدي المدرسون بالطنطاوي في لبسه وبزته، فهو نسيج وحده وفريد عصره، بل أرويها لنعلم مقدار حفاوة الطلبة بشكل الأستاذ وهندامه.

ح- المشاركة والتفاعل

لا يحسن بالمدرس أن يلبس لبوس المحاضر الذي يكتفي بالتلقين والمحاضرة دون أن يفسح المجال لسؤال أو استفسار أو مداخلة أو تعقيب، بل ينبغي أن يشجع على مشاركة الطلبة دوما، ويصغي لأسئلتهم، ويحثهم عليها، فإن لم يسألوا فعليه أن يسأل لأن السؤال مطيَّة العلم، وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما أنَّى لك هذا العلم؟ فقال لسانٌ سَؤُولٌ، وقلب عَقُول[٤١]، وكنت كلما لقيت عالما أخذت منه وأعطيته.

وقال الفرزدق :

ألا خبّروني أيّها النّاس إنّما سألتُ ومن يسألْ عن العلمِ يعلمِ

سؤالَ امرئٍ لم يغفلِ العلمَ صدرُهُ وما السائلُ الواعي الأحاديثَ كالعمي[٤٢]

ومن ضروب المشاركة تكليف الطلبة بواجبات ونشاطات تلزمهم الذهاب إلى المكتبات، والعودة إلى مصادر العربية ومراجعها، ليجد الطالب نفسه في دنيا العربية برجالها وخطبائها وشعرائها وأدبائها وفنونها المختلفة، فتنعقد الصلة بينه وبينها، وتزول الغربة والجفاء عما يشعر به تجاهها.

ومن ضروب هذه المشاركة أن يستمع المدرس إلى مشاركات الطلبة الإبداعية في شعر أو قصة أو خاطرة أو ما أشبه ذلك، ويثيبهم عليها باعثا روح التنافس فيما بينهم، معلقا

---

[٤١] قال الجاحظ: وقد رووا هذا الكلام عن دَغْفَل بن حنظلة العلامة وعبد الله أولى به منه. البيان والتبيين ٨٥/١.

٤٢ الحيوان ٢٣٦/٣.

بكلمات منتقاة يفخر بها الطالب أنى كان، لأن الطالب يحفظ كلام أستاذه، لاسيما المكتوب منه.

ومن ضروبها متابعة بعض البرامج التلفازية التي تعنى بفنون العربية والتعليق عليها، كشاعر العرب، وأمير الشعراء، وكذا بعض المسلسلات التاريخية المعنية بالأدب والفن كالزير سالم، والحجاج، وملوك الطوائف (وإن كانت لا تخلو من بعض اللحن والهَنَاتٍ).

ومن روافد هذه المشاركة إجراء المسابقات الأدبية وإذكاء روح التسابق والمنافسة بين الطلبة، كمباراة الأنفاس الشعرية، أو المساجلة الشعرية، والكلمات التي تبدأ بحرف ما، ومعرفة معاني الكلمات، وردِّ كل بيت لقائله....وما إلى ذلك.

ولا زلت أشعر حتى الآن بأني مدين في حفظ كثير من أبيات الشعر المفردة لهذه المسابقات النافعة التي شغفنا بها في بداية تحصيلنا.

رابعًا: السماع

وأعني به أن يسمع الطالب لغته صافيةً مشرقةً نديةً لا لحنَ فيها ولا خطأ، على نحو ما كان يسمعها الغلمان العرب إذ كانوا يُرسلون إلى البوادي ليخالطوا أهل الوبر الذين لم يتطرق اللحن إلى ألسنتهم، ولم يعرف الخطأ طريقه إليهم، فينشأ الناشئ بينهم على الفصاحة والبلاغة وسلامة السليقة.

وبالسماع هذا يشترك المعلم والطالب، إذ لا بد للمعلم أن ينطق بلغة فصيحة بيّنة، ولا بد للطالب أن يستمع بأذن واعية مستوعبة، والتعلُّم من هنا يصبح صنوًا للتعليم، ولن يجدي تعليم بلا تعلُّم، كما لا ينفع بيان بلا تبيُّن، و" إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتوقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ"[٤٣].

قال الجاحظ: " لأن مدار الأمر على البيان والتبيُّن، وعلى الإفهام والتفهُّم. وكلما

٤٣ من حديث أبي الدرداء الذي رواه الطبراني في المعجم الأوسط ١١٨/٣.

كان اللسانُ أبينَ كان أحمد، كما أنه كلما كان القلب أشدَّ استبانةً كان أحمد. والمفهِمُ لك والمتفهِّم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المفهِمَ أفضلُ من المتفهم وكذلك المعلِّم والمتعلم. هكذا ظاهر هذه القضية، وجمهور هذه الحكومة، إلا في الخاص الذي لا يذكر، والقليل الذي يشهر"[٤٤].

وقد عدَّ ابن خلدون اللغة ملكة صناعية فقال في مقدمته: «اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذٍ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة، والملكات لا تحصل إلاّ بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ثم يتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة»[٤٥].

وجاء علم اللسانيات ليؤيد ما ذهب إليه ابن خلدون في نظرية اكتساب اللغة، إذ يرى تشومسكي – أحد أقطاب علم اللسانيات – أن الطفل يولد ولديه معرفة فطرية لتعلم اللغة، أو أن لديه ملكة تهيِّئه لهذا العلم، وهذه المعرفة تؤلف الأداة لاكتساب اللغة وهي موجودة عمومًا لدى كل إنسان[٤٦].

ويؤكد علم اللسانيات أن الأطفال يحاكون أو يقلدون ما يسمعونه من الكبار، ولذا تعد المحاكاة أحد الأساليب المهمة التي يستعملها الطفل عند اكتسابه اللغة، فقد أوضحت البحوث العلمية أن ترديد المسموع أسلوب واضح ومميز في التعلم المبكر للغة وجانب مهم في

٤٤

(٤٥) مقدمة ابن خلدون ١٢٧٨/٣-١٢٧٩.

(٤٦) مبادئ تعلُّم وتعليم اللغة، دوجلاس براون، ترجمة د.إبراهيم القعيد ود.عبد الشمري، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص٥٤.

الاكتساب المبكر لأصواتها[٤٧].

إن محاكاة الطفل لما يسمعه تتمُّ بادئ بدءٍ دون فهم أو تركيز على المعلومات المتعلقة بالمعاني التي تمثل البنية العميقة للغة، ويستمر الطفل بهذه المحاكاة السطحية في المراحل الأولى من الاكتساب اللغوي لعدم امتلاكه القدرة الضرورية لربط المعاني بالعبارات والألفاظ، ولكن الأطفال مع مرور الزمن وفهم مستوى المعاني في اللغة يبدؤون في تركيز الكثير من اهتمامهم وربما كل اهتمامهم على مستوى البنية العميقة للغة، كما ينشغلون في محاكاة هذا المستوى، حتى ربما جار ذلك على تركيزهم على المحاكاة السطحية بحيث يبدون كأنهم مقلدون غير مجيدين[٤٨]، إن الربط بين هذه البنية العميقة وتلك السطحية هو أقرب ما يكون إلى ما عبَّر عنه ابن خلدون بمراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال...

ولم يكتفِ ابن خلدون بهذا بل راح يبيّن سبل اكتساب هذه الملكة بعد أن فسدت الألسنة، حيث يقول: «اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت، إلاّ أن اللغات لما كانت ملكات كان تعلمها ممكنًا شأن سائر الملكات، ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن، والحديث، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضًا في سائر فنونهم، وحتى يتنَزَّل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور مَنْزلة من نشأ بينهم ولُقِّن العبارة عن المقاصد منهم، ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم، وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال، ويزداد بكثرتهما رسوخًا وقوة»[٤٩].

والحق أن هذه الطريقة هي طريقة العرب القدامى كما أسلفت، وما زال الشناقطة – في موريتانيا– يتبعون هذا النهج ويسيرون في هذا الطريق، ولسان حالهم يردد قول شاعرهم:

([٤٧]) مبادئ تعلم وتعليم اللغة، ص٥٩.

([٤٨]) مبادئ تعلم وتعليم اللغة، ص٦٠.

([٤٩]) مقدمة ابن خلدون ١٢٨٥/٣-١٢٨٦.

لنا العربية الفصحى وإنا أجلُّ العالمين بها انتفاعا

فمُرضَعنا الصغير بها يُناغى ومرضِعنا تُكوّرها قناعا

فرضيعهم يغذوه لبان العربية كما يغذوه لبان أمه، والمصدر واحد، وهو الأم التي غالبا ما تكون حافظةً لكتاب الله، تردِّدُه على مسامعه الصغيرة قبل أن يتمكن من الكلام، حتى إذا شبَّ عن الطوق، أُدخل المِحْضَرة – وهي المكان المخصص لطلب العلم _ فحفظ فيها المعلقات ولامية العرب للشنفرَى وما أشبهها من عيون الشعر العربي القديم، ثم يبدأ بتلقي دروس النحو والفقه والسيرة، حتى يستوي عالما مجيدًا وشاعرًا فصيحًا. وقد لقيت طائفة من إخواننا الشناقطة فما انقضى عجبي من فصاحة لسانهم، وقوة عارضتهم، وكثرة محفوظهم، وحضور فقههم "وخير الفقه ما حوضر به"[٥٠] .

- **تنشئة الطفل على سماع الكلام الفصيح ومحاكاته:**

وذلك بأن يخضع الطفل لدورات منظمة من خلال رياض الأطفال لا يسمع فيها إلاّ الفصيح من الكلام، وقد أثبتت هذه الطريقة فعاليتها وآتت أكلها على خير وجه من خلال التجارب التي أجراها الأستاذ الدكتور عبد الله دنان على طفليه أولاً ثم على رياضٍ للأطفال في كل من الكويت ودمشق، وقد جاهد طويلا ليوصل هذه التجربة إلى كثير من أقطار الوطن العربي الكبير.

ويؤكد د.دنان – الذي درس أصول التربية واكتساب اللغة في بريطانيا وكان له مشاركة فعالة في البرنامج التلفازي الناجح (افتح يا سمسم) – أن فترة الخصوبة اللغوية إنما تنحصر في المدة الواقعة بين السنة الأولى والسنة السادسة من عمر الطفل؛ إذ يحاكي الطفل ما يسمعه من حوله وتكون لديه القدرة العجيبة على المحاكاة والتركيب والتحليل والقياس والتوليد والاشتقاق والنحت، إلى حدٍّ جعل التربويين يفكرون بتلقين الطفل عدة لغات بآن واحد في

٥٠ العربية وطرائق اكتسابها ٥١ – ٥٣

هذه السنّ كما يجري في سدني بأستراليا، إذ تقوم إحدى المؤسسات التربوية بتلقين الأطفال ست لغات بآنٍ واحد!!.

وأنا أشهد أن تجربة د.دنان قد حظيت بنصيب كبير من النجاح، فقد سمعت حوارًا مسجلاً على الفيديو بينه وبين ابنه ذي السنوات الثلاث فكانت العربية تجري طبِّعة غضَّة على لسان الطفل بلا تكلف ولا اصطناع، وإن تعجب فعجب أمره حين كان يجيب أمه بالعامية إمَّا تدخَّلت في ذلك الحوار ثم يعود إلى عربيته مع أبيه، فما كانت العربية بمانعة له من محاكاة لغة أمه العامية، فلكل مقام مقال، ولكل سؤال جواب.

ثم زرت الروضة التي أسسها في الكويت عام ١٩٨٩م، وزرت بعد سنوات الروضة التي أسسها في دمشق عام ١٩٩٥م، فسمعت عجبًا من حديث الأطفال بالعربية الفصيحة، وسمعت طُرَفًا من أفانين اشتقاقهم وتوليدهم وقياسهم، مما جعلني أجري التجربة على بعض أولادي بقدر ما أتيح لي فكان فيها نفع كبير، وأجراها بعض أصحابي أيضًا فأثبتت نجاحًا باهرًا.[٥١]

ويشير د. الدنان إلى الآثار الإيجابية التي تجنيها هذه التجربة، ولعل أهمها ما يأتي:

١. اكتساب اللغة بأنجع طريقة ممكنة.

٢. جعل الفصحى مألوفة لدى الطالب.

٣. رفع مستوى إتقان القراءة والفهم.

٤. رفع مستوى مهارة الكتابة.

٥. زيادة عدد القارئين وعدد الكتب المقروءة.[٥٢]

ومما أثلج صدري أن الدكتور عبد الله الدنان كان في طليعة الفائزين بجائزة مُحَمَّد بن راشد

---

[٥١] وكان من سوالف الأقضية أني اتبعت دورة في بيت أستاذنا د. عبد الله الدنان بدمشق لتدريب المدرسين في روضات الفصحى السليقية، ونلت شهادة مدرب عام ٢٠٠٨.

١٦ التيسير في قواعد اللغة العربية، ص ١٧- ١٨ .

للغة العربية في دورتها الأولى عام ٢٠١٥م.

وكان قد شهد بنجاح هذه التجربة رهط من أهل العلم وأرباب اللغة على رأسهم أستاذنا العلامة سعيد الأفغاني رحمه الله، على أنه أبدى ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي اقتصار التلقين على الحوار وقص القصص بالعربية الفصيحة، وعدم اشتماله على نصوص سهلة من عيون الأدب العربي تساعد الطفل على اكتساب اللغة وتنمية الذوق الأدبي الرفيع، وامتلاك أدوات الفصاحة والبيان.

وأنا مع أستاذنا الجليل في كل هذا، فلا بدَّ إلى جانب التلقين هذا من عرض طائفة من نصوص العربية تتخير من أسهلها لفظًا وأسلسها عبارةً وأيسرها حفظًا وأقربها فهمًا، وأحلاها إيقاعًا ووزنًا، ليسمعها الطفل فيطرب لها، ويتغنى بها، ويحفظها فتكون له رصيدًا وزادًا لغويًّا يرتقي به إلى مرتبة الفصحاء والأبِيناء.

أذكر من هذه النصوص المتخيَّرة – على سبيل التمثيل – صغار السور القرآنية، وهي مما يمكن أن يردِّده مجموع الأطفال مع معلمهم بصوت واحد يجعل حفظه سهلاً، بل ينقشه في ذاكرة الطفل نقشًا يصعب أن يزول مع الزمن، ويمكن أن تتوسع دائرة هذه السور لتشمل جزء عمَّ كلَّه وتضم إليه سورًا أخرى يسهل ترددها على ألسنة الأطفال.

ومن هذه النصوص أيضًا قصائد تُتخيَّر من أرق الشعر وأعذبه جرسًا وأخفِّه وقعًا، مما يمكن أن يتغنى به الأطفال، كقصائد شوقي على ألسنة الحيوان، وبعض الأناشيد الخاصة بالأطفال، بل إن المتتبّع للشعر العربي يقف على نماذج من عيون الشعر القديم بلغت الغاية في العذوبة والرقة والسهولة والخفَّة، من مثل قول العباس بن الأحنف:

وكانت جارةً للحـ ـورِ في الفردوس أحقابا
فأمسَتْ وهي في الدنيا وما تألفُ أَترابا
لها لُعَبٌ مصفَّفةٌ تلقِّبُهُنَّ ألقابا

تنادي كلَّما ريعتْ من الغِرَّة يا بابا(٥٣)

وأمثالها كثير في أدبنا العربيّ، وقد كان أستاذنا العلامة أحمد راتب النفاخ يحفِّظ ولده عبد الله من غرر الشعر الجاهلي والإسلامي الشيء الكثير ولم يكن عمره يزيد على أربع سنوات! فلا غرو أن نبغ اليوم وصار حلسَ كتاب!

ولا بدَّ من التنبيه هنا على ملاحظة في غاية الأهمية، وهي وجوب أن يكون المعلم متقنًا للغة لا يلحن فيما يلقِّن للطفل، وإلاَّ ضاع الجهد سُدى وانقلب الأمر ضررًا، لأن ما بني على فسادٍ فإلى فسادٍ يؤول، واللحن الذي يلقَّن للطفل سينقش في ذهنه وسيؤدي إلى قياس فاسد عنده.

وينبغي أيضًا أن يجمع المعلم إلى إتقانه للغة، تجويدًا لأصواتها، وإفصاحًا للنطق بها، وسلامة من آفات النطق، ومن طغيان بعض اللهجات العامية على لسانه، لأن الطفل سيحاكي ما يسمعه، فإذا سمع اللفظ مجوّدًا فصيحًا خاليًا من الآفات أدَّاه أحسن الأداء، وإلاَّ انطبع الفساد في ذهنه وبَعُد عن الفصاحة بُعْدَ معلمه عنها.

- **فن الإلقاء**

ولا بد أن يقترن ذاك السماع أيضا بقراءة نصوص العربية على مسامعهم قراءة فصيحة معبرة، تُرتِّل القرآن ترتيلا، وتُفصِّل الحديث تفصيلا، وتُنشد الشعر وتتغنى به على نحو ما قال حسان في بيته المشهور:

(٥٣) ديوان العباس بن الأحنف، تحقيق عاتكة الخزرجي، طبعة دار الكتب المصرية، ص١٨، والبيت الأخير دليل على أن لفظة (بابا) عربية أصيلة.

تغنَّ بالشِّعْرِ إمّا كنتَ قائلهُ		إنَّ الغناء لهذا الشعرِ مضمارُ[٥٤]

فلا قيمة لشعر لا يهزُّ قائلَهُ وسامعَهُ

إذا الشعرُ لم يهززْكَ عندَ سماعِهِ فليس خليقًا أن يقالَ لهُ شعرُ

إن المعلم الحقَّ هو الذي يأسر سامعه بسلامة لغته.. وعلو بيانه.. وجمال أدائه.. وتناغم صوته مع مضمون كلامه.. يعلو فيه ويجهر في مواضع الإنذار والوعيد حتى كأنه هدير الفحل..أو هزير الريح.. أو هزيم الرعد. ويلين في مواضع اللين والتبشير حتى يمتزج بأجزاء النفس لطافةً.. وبالهواء رقّةً.. وبالماء عذوبةً.. وبالطيب أريجاً..وبالنغم إيقاعاً وجرساً.

ولعمر الله إن من كانت هذه صفاته لتهفو إليه النفوس، وتشتاقه الأرواح، وتُشنَّف بسماعه الآذان، وتسعى إليه المنابر ولسان حالها يردد:

شرحَ المنبرُ صدرًا لتلقِّيكَ رحيبا

أتُرى ضَمّ خطيبا منك أم ضُمِخَ طيبا؟[٥٥]

أقول: لقد فقد طلابنا نعمة السماع هذي فتاهوا، ولم يعرفوا من العربية إلا الفاعل والمفعول فنفروا من دروسها وأبغضوها.

وقد نبه على أهمية السماع أرباب العربية في عصرنا، حين تصدوا لأمر اكتساب اللغة، فمن ذلك قول الأستاذ إبراهيم مصطفى عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة: "إن أفضل طريقة لتعليم اللغة وأيسرها وأقربها إلى مسايرة الطبيعة هي أن نستمع إليها فنطيل الاستماع، ونحاول التحدث بها فنكثر المحاولة، ونكل إلى موهبة المحاكاة أن تؤدي عملها في تطويع اللغة وتملكها وتيسير التصرف بها، وتلك سنة الحياة في اكتساب الأطفال لغاتهم من غير معاناة ولا إكراه ولامشقة فلو استطعنا أن نصنع هذه البيئة التي تنطلق فيها الألسنة بلغة

---

٥٤ العمدة ٣١٣/٢.

٥٥ قالهما أبو عبد الله بن القيسراني الشاعر لهارون بن أحمد بن عبد الواحد (ت ٥٣٧) عندما ولي خطابة حلب. معجم الأدباء لياقوت الحموي ٥٨١/٥.

فصيحة صحيحة، نستمعها فتنطبع في نفوسنا، ونحاكيها فتجري بها ألسنتنا، إذاً لملكنا اللغة من أيسر طرقها، ولمهّد لنا كلُّ صعب في طريقها ".

ومن ذلك أيضا قول الأستاذ الدكتور رمضان عبدالتواب: " لا شيء أجدى على من يريد تعلم لغة ما من الاستماع إليها والقراءة الكثيرة في تراثها، وحفظ الجيد من نصوصها".

وهذا ما يدعى بنحو الفطرة، وهو بلا ريب أجدى على طلابنا وأنفع لهم من نحو الفطنة.

فلنعد إلى النحو الفطري، نحو القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العذب النبيل، والمثل السائر، والحكمة البليغة، والخطبة المؤثرة، وطرائف الأدب ولطائفه[٥٦].

بقي أن أقول: إن سماع العربية يقتضي أيضا أمرًا مهما، وهو إعداد المدرسين جميعا في كل التخصصات إعدادا لغويًا سليما، وتدريبهم تدريبا كافيا، وإجراء امتحانات الكفاية اللغوية العربية المقنَّنة لكل منتسب إلى مهنة التدريس، ثم إلزامه بالتزامها في تدريسه، وأخذ الطلاب بها في أسئلتهم ومناقشاتهم ومحاوراتهم، على نحو ما ينادي به أرباب التربية في بريطانية، إذ يرفعون شعار: "كل المدرسين مدرسون للغة الإنجليزية"[٥٧] ونحن أولى بهذا منهم، فكل المدرسين مدرسون للعربية.

خامسًا: الحفظ

يقرر ابن خلدون في مقدمته أنه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي، وعلى قدر وجودة المحفوظ و طبقته في جنسه، وكثرته من قلته، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ.

---

[٥٦] انظر مقالا لي بعنوان نحو الفطرة ونحو الفطنة في كتابي العربية وطرائق اكتسابها ص٥٧ – ٦١.

٥٧ مستقبل اللغة العربية ص ٤٢.

بل إن ابن خلدون يربط بين اكتساب ملكة اللسان العربي وبين حفظ كلام العرب في مقدمته حيث يقول: " وتعلم مما قررنا في هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه، ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم، وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم"[٥٨].

والحق أن اللغة إنما تكتسب بكثرة الاطلاع على نصوصها، ووفرة المحفوظ من هذه النصوص بدءاً من القرآن الكريم، ومروراً بكلام العرب في شعرها ونثرها وخطبها وأمثالها وأخبارها، وما أفلح من أفلح ممن تمكن من ناحية هذه اللغة فأسلست له قيادها إلا بمثل هذا، وهاكم الأمثلة من كتّابنا وأدبائنا وأعلامنا العظام مثل حنا مينة و بطرس البستاني ومكرم عبيد وطه حسين ومحمود شاكر والطنطاوي وغيرهم.

إننا حقاً بحاجة إلى إعادة النظر في بعض ما فُتِنّا به من نظريات التربية الوافدة من هنا وهناك، من مثل تلك التي تزعم أن ثقافة الحفظ لم تعد تجدي وأن الحفظ يتنافى مع الفهم. لقد صرنا في اعتمادنا نظريات لا تليق بنا ولا بلغتنا وثقافتنا إلى ما صار إليه ابن هرمة عندما قال:

وإني وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفّي زناداً شحاحا

كتاركةٍ بيضَها في العراء وملبسةٍ بيضَ أخرى جناحا[٥٩]

ولا أدري والله لماذا يجعل الحفظ مقابلاً للفهم، وكأنهما ضدان لا يجتمعان، مع أن هذه العلاقة الموهومة المبنية على التضاد فيما بينهما غير صحيحة البتة، فليس الحفظ بمانع من الفهم، بل هو مطيّة له ومساعد عليه، لأنه لا يرسخ ويسهل ويستطاع إلا بالفهم، وقديماً قيل: " الحفظ الإتقان ".

---

[٥٨] مقدمة ابن خلدون ١٢٨٩/٣ – ١٢٩٠.

٥٩ عيون الأخبار ١٠٢/٢.

ويكاد العلماء المعنيون بأمر اللغة – قدماء ومحدثين – يتفقون على أهمية الحفظ وضرورته:

يقول القاضي عبد الرحيم بن علي بن شيث القوصي، في سياق حديثه عن أدوات الكاتب وعدته: "والحفظ في ذلك ملاك الأمر كله،فإنه يؤهل ويدرب، ويسهل المطلوب ويقرِّب."[٦٠].

ويقول الدكتور محمود الطناحي: " فالحفظ وسيلة ضبط وإتقان ينبغي أن تراعى من أول درجة من درجات سلم التعليم، ولا تشفقوا على الصغار والناشئة فإن فيهم خيرا كثيرا"[٦١]

ويقول الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم: "نعتقد أننا بحاجة جادة إلى أن يعود الحفظ إلى سابق مجده في هذه الأمة، ولا ينفق المرء إلا مما ادخره، يستوي في ذلك حفظ القرآن، والتراث الشعري والنثري. وأن نرفض تلك النظريات التربوية المفسدة للملكة اللغوية والسليقة العربية، وأن تعود المختارات "كالمنتخب من الأدب العربي" إلى المدارس كلها"[٦٢].

فمن أراد العربية وسعى لها سعيَها، فإن أهم سعي لها حفظ نصوصها، وقراءة أدبها، والتغني بشعرها، وترداد خطبها، والتمثيل بأمثالها وحكمها، ورواية قصصها وأخبارها، ذلكم هو مفتاح العربية، وتلكم هي بوابتها، فهل من مبتغٍ إلى العربية سبيلا؟!

ولا بد لي قبل أن أختم القول في الحفظ من التنبيه على أمر مهم، وهو وجوب التصحيح قبل الحفظ، إذ إن أخطر ما في الحفظ أن يكون على خطأ، فيؤدي عند ذاك إلى ضد المؤمَّل منه، لأنه يستقرُّ في ذهن الطالب، ويصعب فيما بعد تغييره، وقد يؤدي إلى قياس خاطئ، لأن مابني على خطأ أدى إلى خطأ.

يقول الحسين بن المنصور اليمني في كتابه آداب العلماء والمتعلمين:

---

٦٠ مقالات العلامة الدكتور محمود مُحَمَّد الطناحي ١٥٢/١.

٦١ مقالات العلامة الدكتور محمود مُحَمَّد الطناحي ١٥٤/١.

٦٢ كتابات في النقد، د. عبد اللطيف عبد الحليم. ص ٢٩٣.

"الثالث: أن يصحح ما يقرأه قبل حفظه تصحيحاً متقناً، إمّا على الشيخ وإما على غيره ممن يعينه، ثم يحفظه بعد ذلك حفظاً محكماً ثم يكرر عليه بعد حفظه تكراراً جيداً، ثم يتعاهده بعد ذلك ولا يحفظ شيئاً قبل تصحيحه، لأنه يقع في التحريف والتصحيف، وقد تقدم إن العلم لا يؤخذ من الكتب فإنه من أضر المفاسد"[٦٣]

سادسًا: تنمية مهارة القراءة

كان الطالب فيما قبل يُنشَّأ على القراءة السليمة، إن في دروس العربية، أو في غيرها من المواد التي تدرَّس بالعربية، ثم أتى على الطلاب حين من الدهر افتقدوا فيه هذه المهارة، فلم يعد بمقدور معظمهم قراءة سطر واحد في نص عربي دون لحن أو خطأ، وبات المعلم مضطرا إلى قراءة كل نص يريد عرضه على الطلبة بنفسه، دون الاستعانة بأحد منهم، ولا زلت أذكر أن شيخنا النفاخ رحمه الله وجزاه عنا وعن العربية خير الجزاء، كان يطلب إلينا قراءة نص شعري أو نثري في محاضرات النحو أو الكتاب القديم (أمالي القالي ثم الكامل)، فلا ترتفع إلا أصبعان في المدرج كله، أصبعي وأصبع زميلي د. يحيى مير علم، حتى إن الأستاذ أنكر ذلك على الطلبة، وأسمعهم من قوارصه ما اعتادت آذانهم عليه، وألفوه منه، وكأن لسان حالهم يقول:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

أجل لقد فقد الطلاب مهارة القراءة الجهرية (بل القراءة الصامتة أيضا)، وبات الكثير منهم يكتفي بالنظر في النص المراد شرحه أو تحليله، دون تحريك اللسان بقراءة كلمة منه. وفي هذا ضياع لمهارة مهمة من مهارات اللغة لا معدل عنها.

لذا كان لزامًا علينا في سبيل النهوض بتعليم العربية أن نعيد هذه المهارة إلى ما كانت عليه إتقانًا وإحسانًا وتمكنًا، وأن نسلك إلى ذلك كل سبيل ممكنة، كتخصيص حصة أو

---

[٦٣] آداب العلماء والمتعلمين ١ / ١٩.

أكثر من حصص العربية للقراءة، واختيار أجمل النصوص وأكثرها تشويقا وأطرفها وأبدعها لهذ القراءة، وتخصيص جزء من درجات الامتحان لامتحان قرة الطالب على القراءة، أي إعادة الامتحان الشفوي إلى ما كان عليه من قبل.

ومرة أخرى أعود لأذكر مبادرة اختصنا بها أستاذنا العذري رحمه الله فأفادنا أيما فائدة وذلك عندما خصص حصة أسبوعية من حصص مادة اللغة العربية الست للقرآن الكريم، يقرؤه الطلبة جميعهم ، مسلمهم ومسيحيهم، قويهم وضعيفهم، لم يثنه عن ذلك تدخل إدارة أو سلاطة زميل جاهل، أو شكوى إلى مديرية أو وزارة. بل مضى في طريقه بعزيمة حذّاء ماضية، يقرئنا القرآن، ويصحح لنا تلاوته، ويقوم ألسنتنا بقراءته، ويجعل الحوافز لحفظ بعض سوره وآياته، ويتفنن في تحبيبنا بكل ما يتعلق به[٦٤].

ولكي تكون القراءة سليمة، فلا بد لها من أحكام تتبع، وقد جمعتُها في عشرة أحكام[٦٥] أوردها فيما يأتي مع الأمثلة المناسبة:

من أحكام القراءة

١–لا تبدأ العربية بساكن، ولا تقف على متحرك .

مثل: كَتبَ أُسامةُ دَرسهُ بِقلمهِ.

لاحظ كيف بدأت كل كلمة بحرف متحرك، ولو وقف القارئ على نهاية أي كلمة منها لسكَّن الحرف الذي يقف عليه: كتبْ / أسامهْ / درسهْ / بقلمهْ /.

٢–يراعى عند الوقف ما يأتي :

أ– إذا انتهت الكلمة بتنوين النصب قلبنا التنوين ألفاً ساكنة

غفوراً ـ غفورا رحيما ـ رحيما

٦٤ من رجالات دمشق ص ٣٥٣.

٦٥ في كتابي: العربية وطرائق اكتسابها ص٧٨–٧٩.

إلا إذا كان التنوين على تاء مربوطة (فلها حكم خاص).

ب- إذا انتهت الكلمة بتاء مربوطة وقفنا عليها بهاء ساكنة مهما كانت حركاتها:

الصلاة ـ الصلاه الزكاة ـ الزكاه راضية ـ راضيه

ج- فيما عدا ذلك يوقف بالسكون:

يكتبُ ـ يكتبْ في المكتبِ ـ في المكتبْ هوَ ـ هوْ أمسِ ـ أمسْ

٣- إذا ابتدأنا القراءة بهمزة وصل وجب النطق بها، ويراعى في تحريكها ما يأتي:

أ - تكون مفتوحة في لام التعريف (اَلكتاب، اَلقلم).

ب - تكون مكسورة في الأسماء السماعية السبع (اِسم، اِبن، اِبنة، اِثنان، اِثنتان، اِمرؤ، اِمرأة)

ج - أما الهمزة في الأفعال (الماضي أو الأمر) أو المصدر فتحرك بالضم إذا كان أول متحرك بعدها مضموما ضمة أصلية وإلا فتكسر.

(ولا يعتد بالضمة العارضة، مثل: اِمشُوا، اِقضُوا، اِبنُوا، اِمضُوا، اِئتُوا.)

أمثلة: اُدعُ – اُنصُر – اُكتُب اِعمَلوا - اِضرِبوا – اِفتَحوا

أما إذا وقعت في درج الكلام (أي في وصله) فلا ينطق بها البتة .

أمثلة: وقل اعملوا – الاسم – الاثنين - حسان بن ثابت

وكثيراً ما يخطئ المذيعون والخطباء والمحاضرون فيهمزون (ال) التعريف في درج الكلام،من مثل: (ستحتفل دولة ألكويت بألذكرى ألثلاثين....) و أقبح من ذلك فصل بعض حروف الجر عن أسمائها المجرورة كأن يقال: في ألساعة ألرابعة ب ألتوقيت أمحلي.. إلى ألمجلس ألبلدي....

٤ – إذا التقى حرفان ساكنان سكونا أصليا، ليس أولهما حرف علة، حرِّكنا الأول بالكسر غالباً، مثل:

اقرأِ الدرس – اكتبِ الواجب – جاءتِ الطالبة.

وقد يحرك بالفتح مثل: منَ الجنة - منَ الأمن

وإذا كان الساكنان في حرف مشدد(وكل مشدد فهو يتألف من حرف ساكن وآخر متحرك) حركت الشدة بالفتح، مثل أفعال الأمر من المضعّف:

عدَّ – يعدُّ ـ عُدَّ مدَّ – يمدُّ ـ مُدَّ غضَّ – يغضُّ ـ غُضَّ

أما إذا كان الساكن الثاني عارضا (أي سكن للوقف) فيبقى الأمر كما هو، مثل:

والفجْر. وليال عشْر.

٥ – إذا التقى ساكنان أولهما حرف علة حذفنا حرف العلة في النطق لا في الرسم، مثل:

في الجامعة ـ فِلْجامعة إلى البيت ـ إلَلْبيت على الطاولة ـ علَطّاولة

٦– تراعى أحكام اللام الشمسية واللام القمرية:

أما الشمسية فهي: لام التعريف التي تدغم في الحرف التالي لها كلام الشَّمس.

وأما القمرية فهي لام التعريف التي لا تدغم فيما بعدها، كلام القَمر.

ويجدر التنبيه على أن حرف الجيم، من الحروف القمرية، ويخطئ فيه الكثيرون فيجعلونه شمسيا، أي يدغمون اللام فيه، وهو قمري، لا تدغم فيه اللام، بل تظهر، مثل:

الْجَامعة – الْجَدول – الْجَبل

ملاحظة: الحروف القمرية مجموعة في عبارة: (ابغ حجك وخف عقيمه) وباقي الحروف شمسية.

٧ – تراعى أحكام الحروف اللثوية:

أي تلك التي ينبغي إخراج طرف اللسان لدى النطق بها، لأن مخرجها من طرف اللسان مع أطراف الأسنان، وهي الثاء والذال والظاء، مثل:

تراث – ذوو – ظهر

٨ – ثمة أحرف تكتب ولا تلفظ:

ويخطئ بعض الناس في النطق بها لدى القراءة مثل :
الألف في (مائة)، والواو في (عمرو)، وحقهما أن يلفظا: مئة، وعَمْر

٩- إذا وصف العلم بكلمة ابن امتنع تنوينه، مثل:
خالدُ بن الوليد - طلالُ بن عبد العزيز.

١٠ - إذا وقعت لام لفظ الجلالة (الله) بعد كسر رققت، وإلا فهي مفخمة.
لِله - بِالله - بسمِ الله (مرققة)
وَالله - قالَ الله - أستغفرُ الله (مفخمة)

- **القراءة الصامتة والحرة**

ويكون ذلك بعد أن يشبَّ الطفل عن الطوق ويغدو قادرًا على القراءة، وقادرًا على أن يباشر ذلك بنفسه، عند ذلك لا بدَّ من وضع قائمة من الكتب المشتملة على أفصح النصوص يقرؤها الطالب، ويتذوق ما فيها، ويصطفي ما يحسن حفظه، ويحلو ترداده، ليكون له زادًا يقيم به لسانه، ويُعلي بيانه، ولا بدَّ له في سبيل ذلك أن يتخذ كنَّاشًا أو كراسًا يكتب فيه اختياراته تمهيدًا لحفظها، وما أحسن ما قال في ذلك يحيى بن خالد لولده: «اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وحدثوا بأحسن ما تحفظون، وخذوا من كلِّ شيءٍ طرفًا، فإنه من جهل شيئًا عاداه»[٦٦].

ولا ريب أن أول كتاب يتصدَّر هذه القائمة هو **القرآن الكريم**، فهو مفتاح العربية وبوَّابتها، والأساس المتين لكل راغب في إتقانها، كما أسلفت.

ولست أنسى ما حييت أنه كان السبب في نقلي- في بداية مراحل التعليم - من زمرة الضعفاء قراءةً وفهمًا وتحصيلًا، إلى زمرة الأقوياء بل الأوائل في الصف، ومن الخاملين الذين يتحاماهم زملاؤهم ويجتنبوهم، إلى النابهين الذين يملؤون المدرسة اجتهادًا ونشاطًا.

([٦٦]) عن كتاب آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل، للشيخ مُحَمَّد بن ناصر العجمي – دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص٢٢٤.

وذلك أن معلمي في الصف الأول الابتدائي نصح لوالدي أن يتعهدني بقراءة القرآن لتقوى قراءتي ولغتي، وكذا كان .. إذ لم يدع والدي رحمه الله فرصة لإقرائي إلا اهتبلها، على المنشط والكره، في البيت والمسجد والمحلّ، ثم ألحقني في صيف السنة الثانية بمدرسة خاصة (تدعى سعادة الأبناء) فحفظت فيها الجزء الثلاثين من القرآن الكريم (جزء عم) وحصلت المعجزة، فانطلق لساني، وقوي جَناني، وأصبحت الأول في صفي عندما عدت إلى مدرستي، مع بداية السنة الثالثة، ولم يقتصر ذلك على القراءة واللغة، بل تعدَّاه إلى كل المواد الدراسية، ثم صرت أُعينُ المدرس في أعباء التدريس في السنة الرابعة، فأيُّ سرٍّ في هذا الكتاب الخالد؟!

يلي ذلك **الحديث النبوي الشريف**، وفيه من عيون البلاغة والفصاحة ما لا يوجد في كتاب قط، ولا غرو فصاحبه رسول الله ﷺ أفصح من نطق بالضاد، وجوامع الكلم التي أثرت عنه منهل ثرٌّ من مناهل الفصاحة والبيان، وفي ذلك يقول يونس بن حبيب: ما جاءنا عن أحدٍ من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ[٦٧].

ثم **نهج البلاغة** لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرَّم وجهه فهو مجمع من مجامع الفصاحة، لا تكاد تقرأ كلمة فيه إلاّ وتجد حلاوة فصاحتها وعذوبة بيانها في فمك وسمعك وقلبك.

وفي صاحبه يقول السيد الشريف الرضي رحمه الله: «مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أُخذت قوانينها وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتأخروا، لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي»[٦٨].

ثم **مجمع الأمثال للميداني**، والأمثال اختصار للفصاحة، وتمثيل للبلاغة في أجمل صورها، وقديمًا عُرِّفت البلاغة بأنها الإيجاز، وما ثَمَّةَ أوجزُ من مثل.

ثم **أساس البلاغة للزمخشري**، وهو خير معجم لتعليم الفصاحة، لأنه اشتمل على نماذج من فصيح القول وبليغ العبارات لا يَشْرَكُهُ فيها معجم آخر. وفي ذلك يقول صاحبه: «ومن

---

(٦٧) البيان النبوي مدخل ونصوص للدكتور عدنان زرزور، ص١.

(٦٨) نهج البلاغة – التقديم. ط. إيران.

خصائص هذا الكتاب تخيّر ما وقع في عبارات المبدعين وانطوى تحت استعمالات المفلقين، أو ما جاز وقوعه فيها، وانطواؤه تحتها، من التراكيب التي تملُح وتحسُن، ولا تنقبض عنها الألسُن، لجريها رَسْلاتٍ على الأسَلات، ومرورها عَذْباتٍ على العَذَبات»[٦٩].

ومما يمكن أن أن يستعان به لتنمية هذه الملكة والتمكن من ناصية اللغة كتب المختارات الأدبية والشعرية وهي كثيرة متنوعة، منها القديم ومنها الحديث، أشير فيما يأتي إلى بعض أسمائها عسى أن ينتفع الطالب بما يصل إليه منها:

- **الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.**
- **العقد الفريد لابن عبد ربه.**
- **زهر الآداب للحصري القيرواني.**
- **ربيع الأبرار للزمخشري.**
- **المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي.**
- **مقالات الأدباء ومناظرات النجباء لعلي بن عبد الرحمن الغرناطي.**
- **من روائع الأدب للشيخ أحمد نصيب المحاميد.**
- **عيون الأشعار وروائع الأفكار للأستاذ هشام عبد الرزاق الحمصي.**
- **خير الأدب عند العرب للأستاذ هشام عبد الرزاق الحمصي.**
- **كيف تغدو فصيحًا عفّ اللسان د.مُحَمَّد حسان الطيان.**

إن كثرة المطالعة في هذه الكتب تعين الطالب بلا ريب على اكتساب ملكة اللغة، أما من أراد التخصص في هذا المجال فلا بد له من الرجوع إلى أركان هذا الفن — فن الأدب — التي ذكرها ابن خلدون في كلمته المشهورة: «**وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين، وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها**»[٧٠].

([٦٩]) عَذْبات: جمع عذبة: سائغة حلوة. والعَذَبات: أطراف الألسنة، أساس البلاغة للزمخشري، مقدمة المؤلف رحمه الله، ص(ك).

([٧٠]) مقدمة ابن خلدون ١٢٧٧/٣ — ١٢٧٨.

وأنا ضامن لمن قرأ هذه الكتب الأربعة أن يغدو من أرباب الفصاحة والبيان والأدب والبلاغة فضلاً عن اكتسابه اللغة، على أن تكون قراءته لها قراءة تدبُّر وتبصُّر لا قراءة مطالعة واستجلاب للنوم.

ولعل خير من وصف هذه القراءة الأستاذ العلامة والأديب المتذوق محمود مُحَمَّد شاكر رحمه الله – وهو بلا شك أحد شيوخ الفصاحة فيما أدركناه من زمن – وذلك حيث يقول واصفًا منهجه في القراءة وطريقته في التذوق: «ويومئذٍ طويت نفسي على عزيمة حذَّاء ماضية، أن أبدأ وحيدًا منفردًا، رحلة طويلة جدًّا، وبعيدة جدًّا، وشاقَّة جدًّا، ومثيرة جدًّا. بدأت بإعادة قراءة الشعر العربي كله، أو ما وقع تحت يديّ منه يومئذٍ على الأصح، قراءة طويلة الأناة عند كل لفظ ومعنى، كأني أقلبهما بعقلي وأرزوهما "أي: أزنهما مختبرً" بقلبي، وأجسُّهما جسًّا ببصري وببصيرتي وكأني أريد أن أتحسسهما بيدي، وأستنشي "أي: أشم" ما يفوح منهما بأنفي، وأسَّمَّع دبيب الخفيّ فيهما بأذني، ثم أتذوقهما تذوُّقًا بعقلي وقلبِي وبصيرتي وأناملي وأنفي وسمعي لساني، كأني أطلب فيهما خبيئًا قد أخفاه الشاعر الماكر بفنِّه وبراعته، وأتدسَّس إلى دفينٍ قد سقط من الشاعر عفوًا أو سهوًا تحت نظم كلماته ومعانيه دون قصد منه أو تعمُّد أو إرادة»[٧١].

أوردتُ هذا الكلام العالي ليقف طالب الفصاحة على طريقة أهل الفصاحة في تذوق الكلام الفصيح، إنها محاولة للتأسِّي، ومطاولة للتشبُّه، عسى أن نقرأ فننتفع، ونقلِّد فنفلح:

فتشـــبَّهوا إن لم تكونـــوا مـــثلهم إنَّ التشـــبُّه بالكـــرام فـــلاحُ

بقي أن أشير إلى أنه يحسن أن يُجمع إلى ما ذكرتُ من كتبٍ بعضُ دواوين الشعر القديمة لفحول الشعراء من أمثال المتنبِي وأبي تمام، فإن في الشعر ما لا يوجد في النثر من عذوبة اللفظ، وحلاوة الإيقاع، وجمال الصورة، وتدفُّق العاطفة، وهي أدعى للحفظ وأرجى للرواية والتمرُّس على الفصاحة[٧٢].

([٧١]) المتنبي لمحمود مُحَمَّد شاكر، ص٦.

([٧٢]) من الجدير بالذكر أن الحفظ أساس لتنمية الملَكة، وكلما كان المحفوظ جيِّدًا كانت الملكة أجود، وقد عقد ابن خلدون لهذا فصلاً في مقدمته تحت عنوان: «فصل في أنَّ حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ»، نبَّه فيه على أثر المحفوظ في ارتقاء الملكة أو قصورها، وضرب لذلك أمثلة رائعة يحسن الرجوع إليها.

ولعل خير ما أختم به هذه الفقرة كلمة لواحد من أرباب الفصاحة والذوق الأدبي الرفيع في زماننا هذا هو الأستاذ يوسف الصيداوي، يقول فيها: «إن إحسان اللغة إنما يكون في مصاحبة القرآن والحديث، ونهج البلاغة وديوان زهير، وجرير والفرزدق والأخطل، وبشار وأبي العتاهية، وأبي تمام والبحتري والمتنبي، وفي ملازمة الجاحظ، وأسألك بالله أن تستمسك بكتب الجاحظ فإنها ينبوع لغة وأدب لا ينضب، وفي ملازمة الأغاني فإنه مدرسة لطواعية المفردات في مواضعها من جَزْل التراكيب. فاستظهر الروائع من كل ذلك، واحفظها عن ظهر قلب كما تحفظ اسمك»[٧٣].

سابعًا: تعلم مبادئ التجويد والتمرس به

التجويد إعطاء كل حرف حقّه ومستحقّه مخرجًا وصفة[٧٤]، وهو أمر يعدُّ من لوازم تعلم العربية وتحسين قراءة نصوصها، ومن ثم التحدث بها بالطلاقة والفصاحة اللازمة، إذ لا فصاحة لمن تتداخل الحروف في نطقه، أو يعتورها نقص في النطق، أو حَيْفٌ في الصفة، أو آفَةٌ من آفات الكلام كاللثغة والتأتأة والفأفأة وما أشبه ذلك مما فصَّل الحديث عنه أرباب الفصاحة والبيان[٧٥].

إن تلقين الترتيل للناشئ في رحاب العربية أمر مهم للغاية، وهو يبدأ من كتاب الله عز وجل لينتهي بإتقان اللفظ العربي أيًا كان موضعه، إذ يضمن للناطق التلفظ بكلمات اللغة على النحو الأمثل الذي تتلقفه الآذان بشغف وتسمعه بعذوبة ويكون له أكبر الأثر في النفوس، خلافًا لمن يخرج الحروف من غير مخارجها، ويعطيها غير صفاتها مما يجعل نطقه

انظر المقدمة ١٣١٣/٣ – ١٣١٦.

(٧٣) الكفاف للأستاذ يوسف الصيداوي – دار الفكر بدمشق، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج١، ص٥٥ – ٥٦.

(٧٤) بهجة النفوس في تجويد كلام القدوس، مُحَمَّد مأمون كاتبِي، وزارة الأوقاف، الكويت، جزءان ٧٥/١.

(٧٥) كالجاحظ في البيان والتبيين ١٢/١-٧٠ ، والمبرد في الكامل ٧٦١/٣-٧٦٥ ، وابن قتيبة في أدب الكاتب ١٣٦-١٣٧ وابن سيده في المخصص ١١٨/٢-١٤٢ . وللكندي رسالة مفردة في اللثغة كنت قد حققتها عام ١٩٨٥ ونشرتها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (ج٣ من المجلد ٦٠) ثم كتبت عنها بحثا قدمته في المؤتمر السنوي الثامن عشر لتاريخ العلوم عند العرب بجامعة حلب عام ١٩٩٥ ، نشر بمجلة التاريخ العربي بالرباط (العدد الثاني ربيع ١٤١٧-١٩٩٧) .

ممجوجًا، يصيق به سامعه، وينتظر لحظة سكوته وفراغه، وما أكثر ما ابتلي الناس اليوم بمثل هؤلاء الناطقين الذي ذهبوا برُواء اللغة، ففقدت على ألسنتهم أجمل خصائصها وأروع صفاتها، واختلط حابل الحروف بنابلها، فرقَّقوا ما حقَّه التفخيم، وقلقلوا ما حقّه الاستطالة، وهمسوا ما حقّه الجهر، وضاعت على ألسنتهم مخارج الحروف وصفاتها، وصرنا إلى ما قاله العباس بن الأحنف:

مــن ذا يُعــيرك عينَــه تبكــي بهــا أرأيــت عينًــا للبكــاء تعــار[٧٦]

وإذا كان ابن الجزري يقول في منظومته المشهورة:

والأخــذ بالتجويــد حــتمٌ لازمُ مــن لم يُجــودِ القُــرانَ آثمُ[٧٧]

فإني أزيد فأقول: إن من لم يجود القرآن فلن تكتمل له أدوات الفصاحة مهما أوتي من علم بالعربية، وبصر بالأدب، وحفظ للشعر، ودراية بالنحو والصرف، لأن نطقه سيبقى في مَنْزلة لا ترقى إلى ما ينبغي للناطق بالعربية، وذلك لكثرة ما اختلط في المجتمع من اللغات واللهجات، وما كثر من الفساد اللغوي والنطقي.

وما وضع التجويد حين وضع إلاَّ لمثل هذا، صدعًا بالأمر الإلهي: ﴿وَرَتِلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، ووصولاً إلى الوجه الأمثل لهذه التلاوة، وقد حظي هذا الفن بمؤلفات جليلة بسط أصحابها فيها الكلام على مخارج الحروف وصفاتها وأحكام النون الساكنة والتنوين من إظهار وإخفاء وإدغام وإقلاب، وأحكام الميم الساكنة من إظهار شفوي وإدغام وإخفاء، وأحكام الراء وما أشبهها، وأحكام الممدود بأنواعها المختلفة، والعجيب أن بعض هذه المصنفات لم يقتصر على هذه الأحكام وإنما تعدَّاها إلى بيان ما ينبغي تجنبه من أغلاط وأخطاء في التلاوة والترتيل مما يحتاج طالب الفصاحة اليوم إلى أن يعلمه ليجتنبه ويتحاماه في كلامه.

ولعلَّ من أشهر ما ألف في هذه البابة رسالة «التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي»

([٧٦]) ديوان العباس بن الأحنف، ص٧

([٧٧]) المنظومة الجزرية، نشرت في رسالة بعنوان: "ملحق المفيد في علم التجويد"، تأليف الحاجَّة حياة علي الحسيني، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص٥.

لأبي الحسن علي بن جعفر السعيدي المقرئ (ت٤٦١هـ)[٧٨]، وقد جاء في مستهلها: «... واللحن الخفي لا يعرفه إلاَّ المقرئ المتقن الضابط الذي قد تلقَّن من ألفاظ الأستاذين المؤدى عنهم، المعطي كل حرف حقه غير زائد فيه ولا ناقص منه، المتجنب عن الإفراط في الفتحات والضمَّات والكسرات والهمزات، وتشديد المشددات وتخفيف المخففات وتسكين المسكنات، وتطنين النونات، وتفريط المدَّات وترعيدها وتغليظ الراءات وتكريرها، وتسمين اللامات وتشريبها الغنَّة، وتشديد الهمزات وتلكيزها...»[٧٩].

إن فن التجويد واحد من الفنون التي لا يمكن أن تُتقن بالاعتماد على الكتب فحسب، إذ لا بدَّ فيه من التلقي والتلقين المباشر من أفواه الأشياخ المقرئين المتقنين ليتمرَّس الطالب بطريقة الأداء الصحيحة ويجتنب كل ما ينبغي اجتنابه، ومن فضل الله على هذه الأمة أن أرباب التجويد منتشرون في كل صقع من أصقاع الأرض، يعلِّمون هذا الفن حِسبةً لوجه الله سبحانه، إيمانًا بما ادَّخره الله سبحانه لهم من جزيل الثواب وواسع المغفرة وحسن المآب لقوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه»[٨٠].

وكتب التجويد ورسائله كثيرة منتشرة، من أجلِّها وأقدمها كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة للإمام المقرئ مكي ابن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ).

وفيما يلي جدول يلخِّص أبرز ما تشتمل عليه رسائل التجويد من مخارج الحروف وصفاتها المختلفة، وهو مقبوس من أطروحتي التي نلت بها درجة الدكتوراه: «جهود المالقي الصوتية في كتابه الدر النثير»(٨١):

---

(٧٨) نشرت هذه الرسالة بتحقيق د.غانم قدوري الحمد في مجلة المجمع العراقي، سنة ١٩٨٥، مج٣٦، ٢/٢٤٠ – ٢٨٧.

(٧٩) رسالة التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، ص٢٦٠.

(٨٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، من حديث عثمان بن عفان ﷺ. فتح الباري ٩/٧٤.

(٨١) جهود المالقي الصوتية في كتابه الدر النثير، ص٣١٨.

الصفات / المخارج			المتضادة									غير المتضادة								
			الجهر	الهمس	الشدة	الرخاوة	التوسط	الإطباق	الإفتاح	الإستعلاء	القلقلة	الغنة	الصفير	القلقلة	التكرار	الانحراف	التفشي	الاستطالة	اللين	التفخيم
الجوف	١		ا				ا		ا		ا									
الحلق	٢	أقصاه	ء		ء				ء											
	٣			هـ		هـ			هـ											
	٤	وسطه		ح		ح			ح											
	٥		ع				ع		ع											
	٦	أدناه		خ		خ			خ	خ										
	٧		غ			غ			غ	غ										
اللسان (ومخارجه متعلقه باللسان)	٨	أصله: أقصاه	ق		ق				ق	ق										ق
	٩	أصله: أسفل منه قليلا		ك	ك				ك											
	١٠	وسطه	ج		ج				ج											ج
	١١			ش		ش			ش								ش			
	١٢		ي				ي		ي										ي	
	١٣	حافته	ض			ض		ض		ض								ض		
	١٤	طرفه: حافته من أدناها	ل				ل		ل							ل				
	١٥	طرفه: بينه وبين ما فوق الثنايا	ن				ن		ن											
	١٦	طرفه: أدخل في ظهره	ر				ر		ر						ر	ر				
	١٧	طرفه: بينه وبين أصول الثنايا العليا	ط		ط			ط		ط										ط
	١٨		د		د				د											د
	١٩			ت	ت				ت											
	٢٠	طرفه: بينه وبين ما فوق الثنايا		ص		ص		ص		ص			ص							
	٢١			س		س			س				س							
	٢٢		ز			ز			ز				ز							
	٢٣	طرفه: بينه وبين أطراف الثنايا	ظ			ظ		ظ		ظ										
	٢٤		د			د			د											
	٢٥			ث		ث			ث											
الشفتان	٢٦	من باطن السفلى وأطراف الثنايا العليا	ف			ف			ف		ف									
	٢٧	من بينهما	ب		ب				ب		ب									ب

		م							م		م		م				م	٢٨						
	و								و		و		و				و	٢٩						
		ن																	الخيشـــــوم						

جدول مخارج الحروف وصفاتها

ثامنًا: الاقتصار على النحو الوظيفي

أعني النحو الذي يقتصر على ما يقيم اللسان والقلم ويقيهما شرَّ اللحن والزلل، دون ذاك الذي يفرّع المسائل ويشقِّق الكلام، و يدخل في التفاصيل غير المجدية والشذوذ الذي جرَّ من المضرة أضعاف ما جلب من المنفعة للغة وأهلها.

وفيما يأتي تعريف كل منهما:

النحو الوظيفي: مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو، وهي ضبط الكلمات، ونظام تأليف الجمل ليسلم اللسان من الخطأ في النطق والقراءة، ويسلم القلم من الخطأ في التأليف والكتابة.

أما **النحو التخصصي** فهو ما يتجاوز ذلك من المسائل المتشبعة، والبحوث الدقيقة التي حفلت بها الكتب الواسعة.

فالاقتصار على الأول هو المطلوب، وفي هذا يقول الجاحظ في فصل عقده لرياضة الصبي من رسالته في المعلمين:

"وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه. وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به، ومذهل عما هو أردّ عليه منه من رواية المثل والشاهد، والخبر الصادق، والتعبير البارع."[٨٢].

ولا أحسبني مبالغا إذا قلت: إن النحو بات المعاناة الكبرى لجلِّ من يتعلم العربية، بل إنه حجب كثيرا من أبناء العربية عن لغتهم وبنى ما يمكن أن يسمى جدار الكراهية الذي صدَّهم عنها، مع أن اللغة لا تكتسب بالنحو، وإنما تكتسب بكثرة قراءة نصوصها وحفظها وسماعها كما أسلفت، ومن نشأ على ذلك فقليل من النحو يكفيه، ألم يقل علماؤنا: النحو

---

٨٢ رسائل الجاحظ ٣٨/٣.

في الكلام كالملح في الطعام؟ فما بالنا نقدم لطلابنا طبقا من الملح الأجاج؟! من ذا الذي يسطيع أكل ملح لا طعام معه؟!

لأن من يُنَشَّأ على الفصاحة والبيان لا يحتاج إلى كثير من دروس النحو لاستقامة لسانه وسلامة سليقته.

ولست بنحويٍّ يلوك لسانَهُ ولكنْ سليقيٌّ أقولُ فأعربُ

ولعل أجمع كتب النحو مع الاختصار والتركيز كتاب قواعد اللغة العربية لحفني ناصف وزملائه، فإنه جمع كل بحوث النحو بإيجاز واعتماد لرأي جمهرة النحاة دون الدخول في التفاصيل غير المجدية والتفريعات والشذوذ الذي جرَّ من المضرة أضعاف ما جلب من المنفعة للغة وأهلها.

وكنت قد سمعت من أستاذنا الأفغاني رحمه الله ثناءً كبيرًا على هذا الكتاب وصل إلى حدِّ القول: إنه ما من كتاب بعد كتاب سيبويه خير من كتاب قواعد اللغة العربية.

من أجل ذلك أقترح في تعليم النحو التزام ثلاثة أمور:

١ – اعتماد نحو الفطرة لا نحو الفطنة

٢ – الإكثار من التطبيق النحوي

٣ – مزج النحو بالأدب

أما الأول فقد تقدم القول فيه، وأما الثاني والثالث فهاك بيان القول فيهما:

الإكثار من التطبيق النحوي

أعني عرض قواعد النحو من خلال نصوص القرآن والحديث والشعر الجميل والخبر الممتع، وقد فرّقت في مقال لي بين ما أسميته: "نحوُ الصنعة..و نحوُ الطبع"[٨٣]

أما نحو الصنعة فهو ذلك النحو الذي يصطنع أمثلة لقواعد لا حياة فيها، ولا نبض في عروقها، كضرب زيدٌ عمرًا، و كلّمَ سعيد بشرًا .

---

[٨٣] العربية وطرائق اكتسابها ٩٩ – ١٠١.

و أما نحو الطبع فهو الذي يمثّل بالشواهد، ويحتج بالنصوص القرآنية والشعرية والنثرية التي تنبض بالحياة.. وتشع فصاحة وبياناً.

إن أمثلة:(ضرب زيد عمرا، وكلم سعيد بشرا) هي التي جعلت الشاعر يقول:

لستُ للنحو جئتكم لا ولا فيه أرغبُ

أنا ما لي ولامرئٍ أبد الدهر يضربُ

خلِّ زيداً لشأنه حيث ما شاء يذهبُ

واستمع قول عاشق قد شجاه التطرّبُ

همُّهُ الدهرَ طفلةٌ فهو فيها يشبّبُ

أما النصوص الجميلة الرائعة فلا يخفى ما لها من أثر في تكوين الملكة اللغوية السليمة لدى الطالب، ورفده برصيد لغوي يصبح معه بنجوة من اللحن والخطأ، لأن النصوص عندما تحفظ وترسخ تكون معياراً للكلام ومقياسا يقيس المرء عليه دون أن يشعر.

فالطالب الذي يحفظ قوله تعالى : ﴿و كان اللهُ غفوراً رحيماً﴾ وقوله: ﴿وكان الإنسانُ عجولاً﴾ وقوله: ﴿وما كان عطاءُ ربك محظوراً﴾ وما كان على هذه الشاكلة، يدرك بالتمرّس أن ما جاء بعد كان يكون مرفوعاً، وما يخبر به عنها يكون منصوباً. فإذا قرأ بعد ذلك أي كلام عربي طبّق بالقياس هذه المعرفة فلم يخطئ.

و الطالب الذي يحفظ قول المتنبي :

إذا كنتَ ذا رأي فكنْ ذا عزيمةٍ فإن فسادَ الرأي أن تترددا

يدرك أن الأسماء الخمسة تنصب بالألف،و أنها ما بعدها مجرور بالإضافة، وأن المضارع ينصب بأن.. و ما إلى ذلك .

يقول الأستاذ سعيد الأفغاني رحمه الله وهو شيخ نحاة العصر:

"لم يعد يقبل في هذا العصر عرض القواعد دون مناقشة ما تستند إليه من شواهد، لأن الشواهد روح تلك القواعد تضفي عليها حياة ومُتعة وأصالة، وعلى هذه المادة ـ أي: النحو ـ

أن تكون ثقافةَ شواهد أكثر مما هي ثقافة قواعد، وهي ـ أي: الشواهد ـ متى استُوعِبَتْ أعْوَد على المِلَكَات من كثير من القواعد المحفوظة والتعليلات المتكلّفة".

وحقاً ما قال الشيخ، فالشواهد والنصوص الأدبية التي يتمثل بها هي التي تصنع المِلَكَات، ولا سيما حينما تقترن بشرح مبسط لموضع الشاهد، وقصٍّ يسير لمناسبة القول، إذ إن كثيراً من الشواهد تمثل قطعاً نادرة من قصائد الشعر وروائعه، وتحكي تجربة شعرية غنية وإنسانية، فإذا ما قرأها الطالب أو سمعها رسخت في ذهنه و تغنّى بها، وأصبحت من ثقافته اللغوية و الأدبية بل الإنسانية و الوجدانية، ولعل أجمل ما أُلِّف من كتب النحو والإعراب تلك الكتب التي خلطت النحو بالأدب، فراح المؤلف فيها يستعرض سياق القصيدة التي ورد فيها الشاهد النحوي، ويقصُّ علينا مناسبتها ونبذة عن صاحبها وربما أدى به ذلك إلى موازنات ومقارنات أدبية لا تخلو من متعة وفائدة و ذوق أصيل، ككتاب خزانة الأدب، وكتاب شرح شواهد مغني اللبيب للإمام المحقق عبد القادر البغدادي.

يقول د. عبد اللطيف عبد الحليم: " وأما تعليم النحو بأمثلة تدور على ألسنة الناس مثل : جاء مُحَمَّد، وذاكر الطالب، فإنها لا تقيم لساناً، ولا تزيد بياناً، صحيح أنها ميزان للكلام والقاعدة، لكن المثال لا قيمة له ولا يفيد نطقاً "[٨٤].

و لعل خير ما أختم به كلمتي قطعة من الشعر فريدة لا يخلو بيت منها من تذكر قاعدة أو فائدة من فوائد النحو، أعني نحو الطبع والسليقة والملكة، وهي تحكي حكماً راسخة كانت وستبقى على مر الزمان، يتغنّى بها كل إنسان:

إنّ للمعروف أهلاً ... وقليلٌ فاعلوهُ

أهنأ المعروف مالم ... تبتذلْ فيه الوجوهُ

أنت ما استغنيتَ عن صا ... حبك الدّهرَ أخوهُ

فإذا احتجتَ إليه ... ساعةً مجّك فوهُ

[٨٤] كتابات في النقد، د. عبد اللطيف عبد الحليم. ص ٢١١.

إنما يعرف ذا الفض ... لِ من الناسِ ذووهُ

لو رأى الناس نبيّاً ... سائلاً ما وصلوهُ

وَهُم إن طَعَمِوا في ... زادِ كَلبٍ أَكلوهُ

لا تَراني آخِرَ الدَهـ ... ـرِ بِتسآلٍ أَفوهُ

إن مَن يَسألُ غَيرَ الـ ... ـلهِ يَكثُر حارِمُوهُ[٨٥]

مزج النحو بالأدب

إن مزج النحو بالأدب يجعله أطيب طعما، وأقرب فهما، وأسلس انقيادا، وأرجى قبولا، وذلك على نحو ما صنع كثير من علمائنا كابن جني في الخصائص وسر الصناعة، والبغدادي في الخزانة وشرح شواهد المغني. وفي هذين الكتابين علم غزير، وأدب رفيع، وفوائد لا تحصى، وهما ضروريان لكل من علَّم النحو أو درّسه، لأنهما يفتحان آفاقه على عالم الأدب والشعر واللغة والأخبار، فيغدو النحو معهما سلسا ميسورا مفهوما.

ولا ريب أن هذا المزج إنما يكون في شواهد النحو، التي ينبغي أن تنتقى بعناية، لتكون أرجى للقبول والإفادة، ومما يعين على ذلك أن تتوفر فيها الأمور الآتية:

أ – الطرافة:

أعني انتقاء الشواهد والأمثلة التي لا تخلو من الطرافة والإحماض، فهي أشد للانتباه وأدعى للحفظ.

فمن ذلك – في بحث الأسماء الخمسة – خبر الجارية التي تعثرت بقربتها فاستصرخت أباها:

يا أبتِ أدرك فاها، قد غلبني فوها، لا طاقةَ لي بفيها.[٨٦]

---

[٨٥] عيون الأخبار لابن قتيبة، ص ٢١٩٨.

[٨٦] المستطرف من كل فن مستظرف ، للأبشيهي ٦٤/١.

– و خبر أبي حمزة الذي رواه الجاحظ:

ولبُغْضِ البناتِ هجَر أبو حمزةَ الضبيُّ خَيْمةَ امرأتِه، وكان يَقِيلُ ويَبيتُ عند جيرانٍ له، حينَ ولدت امرأتُه بنتاً، فمرّ يوماً بخبائها وإذا هي ترقّصُها وتقول:

ما لأبي حمزةَ لا يأتِينا يظلُّ في البيت الذي يَلِينا

غَضْبانَ ألاّ نلد البَنينا تاللّه ما ذلك في أيدينا

وإنّما نأخُذُ ما أُعطِينا ونحن كالأرض لزراعينا

نُنْبتُ ما قد زرَعُوه فينا

قال: فغَدَا الشّيخُ حتّى ولجَ البيتَ فقبَّلَ رأسَ امرأتِه وابنتها.[٨٧]

– وقول ابن الوردي: في المبتدأ والخبر:

وأَغْيَدٍ يسأَلنِي ما المبْتَدا والخَبَرُ

مَثِّلْهما لي مُسْرِعاً فقلتُ: أَنتَ القَمَرُ[٨٨]

– ويفيد في هذا الباب أيضا إيراد الأبيات التي تجمع بعض الأدوات أو بعض الأنواع مثل:

إن أن لكن ليت لعل وكأن

إنَّ فتنصبُ الاسما وترفع بعده الخبرا

إن المعارف سبعة فيها كمُلْ أنا صالح ذا ما الفتى ابني يا رجلْ

ب – البيان والفصاحة:

إن انتقاء الشواهد ذات البيان والفصاحة يغرس في نفوس الطلبة حب العربية وحب نصوصها، وهو أعون على استقرار القاعدة في الذهن وسهولة القياس عليها. ولعل الخبر الآتي يوضح هذه المسألة:

---

٨٧ البيان والتبيين ١/١٨٦.

٨٨ خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي ٢/١٦٨.

خبر الجارية مع الأصمعي في تفسير قوله تعالى:

{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } (القصص٧)

جاء في تفسير القرطبي:

حكى الأصمعي قال سمعت جارية أعرابية تنشد وتقول:

أستغفر الله لذنبي كلِّهْ قبَّلتُ إنسانا بغير حلِّهْ

مثلَ الغزالِ ناعمًا في دلِّهْ فانتصفَ الليلُ ولم أصلِّهْ

فقلت: قاتلك الله ما أفصحكِ !

فقالت: أو يعدُّ هذا فصاحة مع قوله تعالى: " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه " الآية، فجمع في آية واحدة بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين٨٩.

ج – المضمون:

في نصوصنا الأدبية الشعرية والنثرية ما يدعو إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق، ويقدم للطالب نماذج تحتذى في التربية، وفي هذا يقول أبو تمام:

ولولا خِلالٌ سنَّها الشعر ما درى بغاةُ النّدى من أين تؤتَى المكارمُ[٩٠]

ومن ثم كان تخيُّر النصوص مرهونًا بما تشتمل عليه من مضامين رائعة تحبِّب بمكارم الأخلاق، وتنفِّر من مساوئها، وتزرع في نفوس الناشئة كلَّ ما هو مفيد نافع. ينطبق عليها قول القائل:

ألفاظٌ كما نوَّرتِ الأشجار، ومعانٍ كما تنفَّستِ الأسحار[٩١].

---

٨٩ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ٢٥٢/١٣.

٩٠ عيون الأخبار لابن قتيبة ١٩٩/٢.

٩١ زهر الآداب ١٦٢/١.

تاسعًا: مزاولة الفصاحة قراءةً وتحدُّثًا

قال ابن خلدون:

"والملكات لا تحصل إلّا بتكرار الأفعال لأنّ الفعل يقع أوّلا وتعود منه للذّات صفة ثمّ تتكرّر فتكون حالا. ومعنى الحال أنّها صفة غير راسخة ثمّ يزيد التّكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة. فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللّغة العربيّة موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفيّة تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصّبيّ استعمال المفردات في معانيها فيلقّنها أوّلا ثمّ يسمع التّراكيب بعدها فيلقّنها كذلك. ثمّ لا يزال سماعهم لذلك يتجدّد في كلّ لحظة ومن كلّ متكلّم واستعماله يتكرّر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم. هكذا تصيّرت الألسن واللّغات من جيل إلى جيل وتعلّمها العجم والأطفال. وهذا هو معنى ما تقوله العامّة من أنّ اللّغة للعرب بالطّبع أي بالملكة الأولى الّتي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم."

لا يعرف الشوق إلاَّ من يكابده ولا الصـــبابة إلاَّ مـــن يعانيهـــا

وأكاد أقول: ولا الطلاقة في اللغة إلاَّ من يعانيها، فالفصاحة معاناة ومزاولة، تشترك فيها جميع الحواسِّ والمدارك، تبدأ بالسماع وتمرُّ بالقراءة لتنتهي بالكتابة والكلام الفصيح، فهي عمل متواصل للأذن والعين واليد واللسان، إذ هي تمرّس وتدريب يتبع الاكتساب والتحصيل، ولا يغني فيها اكتساب عن تمرُّس، ولا تحصيل عن تدريب، إنما تحصل بمجموع ذلك كله، ولعل أثر التمرّس والتدريب أكبر من أثر التحصيل والاكتساب لما لهما من أهمية في نمو ملكة اللغة وتثبيت أركانها وتوطيد دعائمها، وكلما أكثر المرء من استعمال لسانه في ضروب من الفصاحة كان ذلك أطلق للسانه وأبلغ لبيانه وأعودَ عليه بزيادتها وبلوغ الغاية فيها.

روى المبرد في الكامل أن رجلاً قال لخالد بن صفوان: إنك لتُكثر! فقال: أُكثر لضربين: أحدهما فيما لا تغني فيه القلة، والآخر لتمرين اللسان، فإن حبسه يورث العُقلة. وكان خالد يقول: لا تكون بليغًا حتى تكلم أمتك السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المهمة بما تتكلم به في نادي قومك، فإنما اللسان عضو إذا مرَّنته مَرَن، وإذا أهملته خار، كاليد التي تخشنها

بالممارسة، والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما أشبهه، والرِّجل إذا عُوِّدت المشيَ مشت[٩٢].

ومما لا شكَّ فيه أن الخطابة ضرب من ضروب الفصاحة، بل هي مرتع خصب لها، وميدان واسع تتبدى مهارة الفصاحة من خلاله، والخطيب لا يغدو خطيبًا مصقعًا إلاَّ بمواصلة الدربة والتمرين، ومزاولة الخطابة والتمرس بأصولها والتدرب على فنونها، وما عرف عن خطيب أنه بلغ شأوًا في الخطابة متميزًا إلاَّ بعد طول دربة وتمرين وصقل، بالإضافة إلى ما حصَّله من علم ومعرفة، وما اكتسبه من ملكة وطبع.

جاء في زهر الآداب أن أبا داود كان يقول: «رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحاها رواية الكلام، وحَلْيُها الإعراب، وبهاؤها تخيّر اللفظ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه»[٩٣].

وجاء في البيان والتبيين: «... وطول الصمت يفسد اللسان، وقال بكر بن عبد الله المزني: «طول الصمت حُبْسة» وقال عمر بن الخطاب رحمه الله: «ترك الحركة عُقلَة»، وإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره، وتبلَّدت نفسه، وفسَد حِسُّه، وكانوا يروُّون صبيانهم الأرجاز، ويعلمونهم المناقلات، ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب، لأن ذلك يفتق اللَّهاة، ويفتح الجِرْم [أي الحلق]، واللسان إذا أكثرت تقليبه رقَّ ولانَ، وإذا أقللت تقليبه وأطلت إسكاته جسأ وغلط. وقال عَبَايةُ الجُعْفي: «لولا الدُّرْبة وسوء العادة لأمرت فتياننا أن يماري بعضُهم بعضًا».

وأية جارحة منعتها الحركة، ولم تمرِّنها على الاعتمال، أصابها من التعقُّد على حسب ذلك المنع، ولمَ قال رسول الله ﷺ للنابغة الجعدي: «لا يفضُض اللهُ فاك»؟ ولمَ قال لكعب ابن مالك: «ما نسي الله لك مقالك ذلك»؟ ولم قال لهيذان بن شيخ: «ربَّ خطيب من عبس»؟ ولمَ قال لحسان: «هيِّجِ الغطاريف على بني عبد مناف، والله لشعرك أشدُّ عليهم من وقع السهام في غَبَش الظلام»[٩٤].

وقد يتساءَل المرء أين يمارس مثل هذه الفصاحة؟ ومتى يزاولها ومع مَن يستطيع التدرُّب؟ وأنى له ذلك في هذا الزمن الذي بعد أهله عن الفصاحة والبيان؟

([٩٢]) الكامل، للمبرد، ٥٣٢.

([٩٣]) زهر الآداب ١٤٨/١.

([٩٤]) البيان والتبيين ٢٧٢/٢ – ٢٧٣.

والجواب أن خير مكان لمزاولة الطلاقة في اللغة هو المدرسة والجامعة وحِلَق العلم وأندية الثقافة وما أشبه ذلك، حيث ترتفع سوية الكلام، لتلائم شرف المعاني المطروحة، فالعلم على اختلاف أنواعه واختصاصاته، لا يليق به أن يعالج بلغة مبتذلة سوقيّة تحاكي لغة العامة في لهوهم وأسواقهم ولغطهم، وإنما يليق به أن ترتفع سوية الكلام وترقى العبارة إلى مدارج الفصاحة والبيان، مما يرقى بالعلم ويسمو به وبأهله، ويكون أنفع للطالب وأجدى له.

وكثيرًا ما يتساءل المربُّون: لماذا انحدرت سوية التعليم عن ذي قبل؟ وما أسباب ضعف الطلبة والخريجين في العربية بعد طول قوة؟ والجواب يكمن في طريقة تدريسهم التي تغيرت واستبدل فيها الذي هو أدنى بالذي هو خير، أجل فقد غدت العاميات المبتذلة وسيلة تدريس العلوم المختلفة، حتى اللغة العربية!! فهي تدرس في كثير من المدارس والجامعات بلهجة عامية أحيانًا وبلغة ركيكة ليست من الفصاحة في شيء أحيانًا أخرى! فكيف يكتسب الطالب فصاحةً؟ وأنَّى له بها؟!

إن الحلَّ يكمن في إعادة النظر في طرق التدريس ولغة التدريس، ولا شكَّ أن ذلك يحتاج إلى جهود كبيرة لتأهيل المدرسين لغويًّا ولإعادة النظر أيضًا بمن يؤهل للتدريس، وهي مسألة لا تخلو من صعوبة ولكنها ليست بمستحيلة إذا صحَّ العزم وصدقت النية ولاح الهدف من وراء ذلك مشرقًا ينبئ بمستقبل مشرق.

وعندما تغدو العربية هي الوسيلة الوحيدة للتعبير في قاعة الدرس يتسابق الطلبة إلى التعبير بها، ويتبارون في تجويدها، ويتفنَّنون في أساليب الكلام، مما يخرج ألسنتهم من طول الإسار، ويذهب عنها الحبسة والركاكة، والعيّ والفهامة، قال أبو العطاء يصف لسانه:

أُقَلِّبُـــهُ كـــي لا يكِـــلّ بحبســـةٍ وأبعثـــه في كـــل حـــقٍّ وباطـــل

بل إن العدوى ستنتقل من قاعة الدرس إلى المجالس الأخرى والأندية والمحافل، حيث يتمايز الناس بطريقة نطقهم، ولا يعلو حديث مهما سما على الحديث بالعربية المبينة، فهي التي تسيطر بسحرها وجمالها وروائها على كل أهل المجلس، فتراهم منقادين إلى من يتقن الحديث بها، مصروفين إليه، يلتذون بوقع كلامه على أسماعهم، تتجاوب معه نبضات قلوبهم، ولا غروَ فهي كما قال الشاعر السحر الحلال:

خُلِقَ اللسانُ لنطقِهِ وبيانِهِ لا للسكوتِ وذاكَ حظُّ الأخرسِ

فإذا جلستَ فكنْ مجيبًا سائلاً إنَّ الكلامَ يزينُ ربَّ المجلسِ[٩٥]

عاشرًا: التمرُّس بالكتابة

ولا يتوقف أمر الفصاحة على اللسان، وإنما يشاركه فيها القلم، فالقلم أحد اللسانين، وهو أبقى أثرًا، لأن الكتاب يقرأ بكل مكان ويدرس في كل زمان، ويتجاوز الحدود ويرتفع على القيود.

فإذا تمرَّس الطالب بأساليب الكتابة، حسن تعبيره وشقَّ طريقه إلى امتلاك ناصية القلم، مما يعود عليه بالخير العميم، والنفع المستديم، فالكتابة تفتح آفاقًا واسعة، وتصل إلى ما لا يصل إليه اللسان، ولكنها كاللسان أو هي أعصى، لمسيس حاجتها إلى طول الدربة، وكثرة التمرين، ومعاودة التجربة، وإعادة النظر فيما يكتب، فالكاتب يطمح دائمًا إلى تجويد كتابته والرقيّ بها إلى مدارج البلغاء، مما يضطره إلى إعادة النظر، والحذف والتعديل، والإضافة والتذييل، ورحم الله العماد الأصفهاني إذ يقول:

«إني رأيتُ أنَّهُ لا يكتب إنسانٌ كتابًا في يومه إلاَّ قال في غَدِهِ: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر»[٩٦].

وبهذا تصقل الكتابة، وتتضح سمات الأسلوب، ويبلغ الكاتب حدَّ الفصاحة والإبداع.

وفيما يأتي بيان موجز بمهارات الكتابة باللغة العربية، ختمته بلوحتين لرسم الهمزة وقواعد العدد، لتكونا نموذجا لما يمكن أن تلخَّص به قواعد الرسم الإملائي وقواعد النحو الوظيفي، بحيث تقع تحت نظر الطالب جامعةً لأطراف المسائل ومذكرةً بها وملخصةً لأبرز نقاطها مع التمثيل الواضح:

---

(٩٥) محاضرات الأدباء للأصبهاني.

(٩٦) معجم الأدباء، مقدمة الكتاب.

- **مهارات الكتابة باللغة العربية**

تحتاج مهارة الكتابة إلى أصول تبنى عليها، وقواعد ترشد إليها، لعل من أهمها القراءة، فمن لا يقرأ لا يكتب؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، قال الجاحظ: «كل من عرف النعمة في بيان اللسان كان بفضل النعمة في بيان القلم أعرف».

وكلما قرأ المرء وأمعن في القراءة انقادت له أساليب الكتابة، وذُلِّلت له صعابها، واستطاع من ثم التمرّس بفنونها، والتمكّن من ناصيتها، والإبداع في مجالاتها المختلفة· وكلما بعد عن القراءة تنكّر له القلم، وجافاه الطبع، ولم يقوَ على خطّ كلمات في أيّ شأن من شؤون الحياة.

ثم إن الكتابة صنعة يكتسبها طالبها بطول التمرّس والمرَانة، وليست موهبة توهب لأناس دون آخرين، فالمرء لا يُوْلَد كاتباً، بل لابد له من التدرج في سُلَّم الكتابة، وسلوك مسالك الكتّاب حتى يغدو كاتباً.

ولعلّ من أسهل أنواع التمرين على الكتابة أن يعمد المرء إلى كتابة ذكرياته، وليس ذلك بالأمر الصعب، وإنما هو أن يختار كل يوم أو يومين حدثاً مرّ معه فيسجله، ويعلق عليه ببضعة أسطر وفقاً لأهمية ذلك الحدث، فقد يكتب عن صفة لأخيه أعجبته، أو نصيحة لأبيه وقعت منه موقعاً حسناً، أو فائدة تلقّفها من معلمه، أو تصرّف راق له أو ساءه من صديق أو زميل، أو خبر سمعه من الأخبار، أو مقال قرأه في جريدة أو مجلة، أو منظر استرعى انتباهه في الطريق، أو غير ذلك مما تحفل به حياتنا اليومية، ويراه المرء من حوله مادام فيه عرق ينبض.

وهُلْكُ الفتى أن لا يَراحَ إلى الندى وأن لا يرى شيئاً عجيباً فيعجبا

- **شروط الكتابة**

ثمة شروط لابد للكاتب أن يراعيها في كل موضوع يكتبه، وهي ضرورية لسلامة كتابته شكلاً ومضموناً، فإذا أخلّ بها أو ببعضها انعكس الخلل على كتابته مهما كان مجيداً فيها·

وفيما يأتي بيانها:

١ – السلامة اللغوية:

ونعني بها أن تسلم الكتابة من الخطأ في اللغة، أو النحو، أو الإملاء.

أما اللغة السليمة فيكتسبها المرء من طول ملازمته لقراءة نصوص العربية، والتمرس بأساليبها، بدءاً من القرآن الكريم، ومروراً بالحديث النبوي الشريف، وانتهاء بكلام العرب شعراً ونثراً.

وأما النحو فيتقنه من خلال دروسه التي وردت في معظم كتب النحو (كالنحو الواضح، والنحو الوظيفي، والدروس النحوي، ومتن الآجرومية، وغيرها) ولا سيما علامات الإعراب الفرعية التي تبدو جليةً في الكتابة. (ونعني بها علامات الإعراب الفرعية في الأسماء، وتشمل المثنى، وجمع المذكر السالم، والأسماء الخمسة، وفي الأفعال وتشمل إعراب الأفعال الخمسة، وصيغ فعل الأمر. هذا بالإضافة إلى مواضع أخرى متفرقة).

وأما الإملاء فهي القواعد التي ترسم بها الحروف العربية ولاسيما الهمزة في مواضعها المختلفة وما أشبه ذلك من أصول رسم الحروف.

٢ – مراعاة علامات الترقيم:

ونعني بها أن يستعمل الكاتب في كتابته علامات الترقيم المختلفة، كالفاصلة، والنقطة، والأقواس، وهي تعينه على تقسيم كلامه وترتيبه، وتوضيح المراد منه في كثير من الأحيان، كما تعين القارئ على فهم ما يقرأ، وتعيّن له مواضع الفصل والوصل، والوقف والابتداء، وتنويع النبرات الصوتية في أثناء القراءة، وسيأتي ذكر هذه العلامات بالتفصيل.

٣ – مراعاة الناحية الشكلية:

ونعني بها شكل الكلام المكتوب وترتيبه، بدءاً من حسن الخط، ومروراً بتقسيم النص إلى فقرات تناسب المعنى، وتستقل كل منها بفكرة رئيسية أو أفكار جزئية متقاربة، وانتهاء بترتيب الفقرة الواحدة؛ إذ يحسن أن تميز الفقرة بترك فراغ بقدر مسافة كلمة في بداية السطر، وتنتهي بوضع نقطة في نهايتها. أما الهوامش فيراعى فيها ترك فراغ بمقدار (٢ –٣سم) من أعلى الصفحة، ومثله من أسفلها، وإلى جانبيها. وتنتظم السطور فلا تنبو منها كلمة، ولا تنقص كلمة عن الحد المتاح للكتابة.

٤ – استيفاء عناصر الموضوع المطلوب:

وهذا ما يدخل في المضمون، ولكل موضوع عناصر يجب أن تُستوفى كاملة؛ لأن الإخلال

بواحد منها يؤدي إلى نقص في الموضوع المطلوب .

وفيما يأتي لوحتان للهمزة والعدد مقبوستان من رسالة أعددتها مع الأستاذ مروان البواب بعنوان "قوعد الإملاء والعدد وعلامات الترقيم" ألحقت بطبعة دار الرسالة للقاموس المحيط ص ١٣٥٩-١٣٨٠.

قـواعــد رســـــــم الهـمـزة

في أول الكلمة

الهمزة / وقبلها	مفتوحة	مضمومة	مكسورة
(لا شيء)	أَمَانَة أَكَلَ	أُمَّـة أُخِـذَ	إجَـابَـة
مفتوح	وَأَمَـانَـة وَأَكَـلَ	وَأُخِذَ سَأُطِيعُ	وَإجَـابَـة
مكسور	بِأَمَـانَـة لِأَكْـتُـبَ	بِأُمَّـة لِأُحْـمَـلَ	بِإجَـابَـة
همزة	أَأَمَـانَـة أَأَكْـتُـبُ	أَأُمَّـة أَأُحْـمَـلُ	أَإجَـابَـة

ء

القاعدة: تكتب الهمزة فوق الألف إذا كانت مفتوحةً أو مضمومةً، وتحت الألف إذا كانت مكسورةً، سواء سبقت بحرف أو لا.

وشذّ (لَبَلاَ - لَئِنْ - هؤُلاَءِ).

في وسط الكلمة

الهمزة / وقبلها	ساكنة	مفتوحة	مضمومة	مكسورة
ساكن	(لا ترد)	مَرْأَى – نَشْأَة جُزْأَة – جُزْأَيْن	مَسْؤُول – عِبْؤُهُ جُزْؤُهُ – يَضْؤُلُ	أَسْئِلَة – عِبْئِهِ جُزْئِهِ – يُسْئِمُ
مفتوح	رَأْس – يَأْمُل نَشَأْتُ – فَأْتَمِنَ	مُتَأَدِّب – حَدَأَة نَبَأَهُ – قَرَأَا	رَؤُوف – نَبُؤه مُجَزَّؤُون – قَرَؤُوا	حِينَئِذٍ – نَبَئِهِ مُجَزَّئِين – سَئِمَ
مضموم	شُؤْم – يُؤْمِنُ يَسُؤْهُ – اؤْتُمِنَ	فُؤَاد – لُؤْلُؤَة تبَاطُؤَه – جَرُؤَا	فُؤُوس – تَبَاطُؤُهُ	مُئِجّ – تَبَاطُئِهِ سُئِلَ
مكسور	بِئْر – جِئْتُ ائْتَمَنَ – بِئْسَ	وَئَام – فِئَة قَارِئَهُ – بَرِئَا	قَارِئُهُ – قَارِئُون بَرِئُوا	قَارِئِهِ – قَارِئِينَ
ألف	(لا ترد)	مُسَاءَلَة – قِرَاءَة حَيَاءَهُ – سَاءَلَ	تَشَاؤُب – قَرَّاؤُون حَيَاؤُهُ	قَائِد – قَرَّائِين حَيَائِهِ – سَائِل
واو ساكنة	(لا ترد)	سَوْءَة – ضَوْءَها مُرُوءَة – تَوْءَم	ضَوْءُهُ – وُضُوءُهُ مَوْجُوءُونَ	ضَوْئِهِ – وُضُوئِهِ مَوْجُوئِينَ
ياء ساكنة	(لا ترد)	هَيْئَة – فَيْئَهُ بَطِيئَة – يَيْئَسُ	فَيْئُهُ – رَدِيئُهُ بَطِيئُونَ - مَيْئُوس	فَيْئِهِ – رَدِيئِهِ بَطِيئِين – يَيْئِسُ

القاعدة: تكتب الهمزة على حرف يناسب أقوى الحركتين (حركتها وحركة ماقبلها)، سواء كان توسطها أصلياً أو عرضياً. ويستثنى من ذلك:

١) الهمزة المفتوحة بعد ألف، والهمزة المفتوحة أو المضمومة بعد واو ساكنة فتكتب على السطر.

٢) الهمزة المفتوحة أو المضمومة بعد ياء ساكنة فتكتب على نبرة.

في آخر الكلمة

الهمزة / وقبلها	غير منونة بالنصب	منونة بالنصب	بعدها ألف تثنية الاسم
ساكن	عِبْءٌ جُزْءٌ	عِبْئاً جُزْءاً	عِبْئَان جُزْءَان
مفتوح	مَلْجَأٌ - قَرَأَ امْرَأَ	مَلْجَأً امْرَأً	مَلْجَآن
مضموم	تَبَاطُؤٌ وَضُؤَ	تَبَاطُؤاً	تَبَاطُؤَان
مكسور	قَارِئٌ يَبْتَدِئُ	قَارِئاً	قَارِئَان
ألف	حَيَاءٌ	حَيَاءً	حَيَاءَان
واو ساكنة	ضَوْءٌ يَبُوءُ مَخْبُوءٌ	ضَوْءاً مَخْبُوءاً	ضَوْءَان مَخْبُوءَان
ياء ساكنة	شَيْءٌ بَطِيءٌ	شَيْئاً بَطِيئاً	شَيْئَان بَطِيئَان

القاعدة: تكتب على ماينناسب حركة ماقبلها، يستثنى:

١) الهمزة المنفردة قبل تنوين النصب أو ألف الاثنين فتكتب على نبرة إذا سُبقت بحرف يتصل بما بعده.

٢) الهمزة فوق الألف وبعدها ألف الاثنين تنقلبان مدّة فوق الألف، إذا كانت الكلمة اسماً.

قواعد العدد

الأعداد المفردة

١	طالبٌ واحدٌ طالبةٌ واحدةٌ	الطالبُ الأولُ الطالبةُ الأولى	1 2 3 ...
٢	طالبانِ اثنانِ طالبتانِ اثنتانِ	الطالبُ الثاني الطالبةُ الثانيةُ	
٣	ثلاثةُ طلابٍ ثلاثُ طالباتٍ	الطالبُ الثالثُ الطالبةُ الثالثةُ	الطلابُ الثلاثةُ الطالباتُ الثلاثُ	ثلاثةُ الطلابِ ثلاثُ الطالباتِ
:	:	:	:	:
١٠	عشَرةُ طلابٍ عشْرُ طالباتٍ	الطالبُ العاشرُ الطالبةُ العاشرةُ	الطلابُ العشَرةُ الطالباتُ العشْرُ	عشَرةُ الطلابِ عشْرُ الطالباتِ

الأعداد المركبة

١١	أحدَ عشَرَ طالباً إحدى عشْرَةَ طالبةً	الطالبُ الحادي عشَرَ الطالبةُ الحاديةُ عشْرَةَ	الطلابُ الأحدَ عشَرَ الطالباتُ الإحدى عشْرَةَ	الأحدَ عشَرَ طالباً الإحدى عشْرَةَ طالبةً
١٢	اثنا عشَرَ طالباً اثنتا عشْرَةَ طالبةً	الطالبُ الثاني عشَرَ الطالبةُ الثانيةُ عشْرَةَ	الطلابُ الاثنا عشَرَ الطالباتُ الاثنتا عشْرَةَ	الاثنا عشَرَ طالباً الاثنتا عشْرَةَ طالبةً
١٣	ثلاثةَ عشَرَ طالباً ثلاثَ عشْرَةَ طالبةً	الطالبُ الثالثَ عشَرَ الطالبةُ الثالثةَ عشْرَةَ	الطلابُ الثلاثةَ عشَرَ الطالباتُ الثلاثَ عشْرَةَ	الثلاثةَ عشَرَ طالباً الثلاثَ عشْرَةَ طالبةً
: ١٩	:	:	:	:

الأعداد المعطوفة

٢١	واحدٌ وعشرون طالباً إحدى وعشرون طالبةً	الطالبُ الحادي والعشرون الطالبةُ الحاديةُ والعشرون	الطلابُ الواحدُ والعشرون الطالباتُ الإحدى والعشرون	الواحدُ والعشرون طالباً الإحدى والعشرون طالبةً
٢٢	اثنانِ وعشرون طالباً اثنتانِ وعشرون طالبةً	الطالبُ الثاني والعشرون الطالبةُ الثانيةُ والعشرون	الطلابُ الاثنانِ والعشرون الطالباتُ الاثنتانِ والعشرون	الاثنانِ والعشرون طالباً الاثنتانِ والعشرون طالبةً
٢٣	ثلاثةٌ وعشرون طالباً ثلاثٌ وعشرون طالبةً	الطالبُ الثالثُ والعشرون الطالبةُ الثالثةُ والعشرون	الطلابُ الثلاثةُ والعشرون الطالباتُ الثلاثُ والعشرون	الثلاثةُ والعشرون طالباً الثلاثُ والعشرون طالبةً
: ٩٩	:	:	:	:

ألفاظ العقود

٢٠	عشرون طالباً/طالبةً	الطالبُ/الطالبةُ العشرون	الطلابُ/الطالباتُ العشرون	العشرون طالباً/طالبةً
٣٠	ثلاثون طالباً/طالبةً	الطالبُ/الطالبةُ الثلاثون	الطلابُ/الطالباتُ الثلاثون	الثلاثون طالباً/طالبةً
: ٩٠	:	:	:	:

المئة والألف

١٠٠	مئةُ طالبٍ/طالبةٍ	الطالبُ/الطالبةُ المئةُ	الطلابُ/الطالباتُ المئةُ	مئةُ الطالب/الطالبة
١٠٠٠	ألفُ طالبٍ/طالبةٍ	الطالبُ/الطالبةُ الألفُ	الطلابُ/الطالباتُ الألفُ	ألفُ الطالب/الطالبة

أحكام متفرقة:

- ترد المئة والألف معدودين أيضاً، وتنطبق على العدد الذي قبلهما الأحكام السالفة، نحو: ستة آلاف وسبعمئة رجلٍ/ امرأةٍ.
- الأحسن في قراءة العدد أن يقرأ من اليمين إلى اليسار، نحو: ١٩٤٥ نقول: عام خمسة وأربعين وتسعمئة وألف، أو سنة خمس وأربعين وتسعمئة وألف.
- الكسور مذكرة، وتطبق عليها الأحكام السابقة، نحو: خمسة أسداس، وثلاثة أرباع.
- المفرد هو الأصل في التذكير والتأنيث، فنقول: ثلاث مزارع، وثلاثة أقلام.

أحكام العدد

تذكير العدد وتأنيثه:

- (١) و (٢) يوافقان المعدود مفردين، ومركبين، ومعطوفاً عليهما.
- (٣-٩) تخالف المعدود مفردة، ومركبة، ومعطوفاً عليها.
- (١٠) تخالف المعدود مفردةً، وتوافقه مركبةً.
- (٢٠، ٣٠، ...، ٩٠) و (١٠٠) و (١٠٠٠) تلزم صورة واحدة، سواء كان المعدود مذكراً أو مؤنثاً.

حالة المعدود وإعرابه:

٣-١٠	جمع، مجرور بالإضافة.
١١-٩٩	مفرد، منصوب على التمييز.
١٠٠، ١٠٠٠	مفرد، مجرور بالإضافة.

تعريف العدد بـ (أل):

- إن كان العدد مضافاً أُدخلت (أل) على المضاف إليه.
- وإن كان مركباً أُدخلت (أل) على جزئه الأول.
- وإن كان معطوفاً أُدخلت (أل) على الجزأين.

صياغة العدد على وزن (فاعل):

- (٢-١٠) مفردة تصاغ على وزن (فاعِل)، لتصف ما قبلها، وتدل على ترتيبه.
- (١-٩) مركبة، أو معطوفة، يصاغ على وزن (فاعِل) جزؤها الأول فقط.

إعراب العدد:

- تعرب الأعداد المفردة إعراب الاسم العادي عدا (٢) فيعرب إعراب المثنى.
- ثمانٍ وتعريفها (الثماني) اسم منقوص ولها أحكامه.
- الأعداد المركبة مبنية على فتح الجزأين عدا الجزء الأول من (١٢) فيعرب إعراب المثنى.
- الصفات المصوغة من (١١) إلى (١٩) مبنية على فتح الجزأين عدا الجزء الأول من (١١) و (١٢) فإنه يبنى على السكون.
- ألفاظ العقود ملحقة بجمع المذكر السالم، فتعرب بالواو رفعاً، وبالياء نصباً وجراً.
- يعرب الجزء الأول من الأعداد المعطوفة إعراب العدد المفرد، والجزء الثاني معطوفاً عليه.

(نيّف) و (بضع):

- (نيّف) تدل على العقد إلى العقد الذي يليه، وتأتي بلفظ واحد للمذكر والمؤنث. نحو: قام عشرون ونيف من الرجال/النساء.
- (بضع) تدل على الأعداد (٣-٩)، فهي تخالف المعدود في التذكير والتأنيث. نحو: بضعة رجال، وبضع نساء.

حركة شين عشرة:

- الفتح إذا كان المعدود مذكراً.
- السكون إذا كان المعدود مؤنثاً.

حادي عشر: الإفادة من تقنيات الحاسوب ووسائل التواصل الحديثة

لم يعد يجدي في زمن الحاسوب والجوال والشابكة وغيرها من وسائل التواصل أن يبقى التعليم بمنأى عنها، بل لا بد له من أن يفيد منها، وأن يستغلها أحسن استغلال ليرتقي بالعملية التعليمية من جهة، ولينشئ الطلبة ويعودهم على حسن الاستفادة مما بين أيديهم من هذه الأدوات النافعة من جهة أخرى.

ولا ريب أن وجوه الإفادة من هذه الأدوات باتت على طرف الثمام من كل مدرس ومن كل طالب، إذ انتشرت المواقع التعليمية، والمنتديات العلمية، والموسوعات الرقمية، والنظم الحاسوبية، والبرامج المعدة لكل فن من الفنون، ولكل علم من العلوم، فضلا عن إمكانية إعداد أي منهج من المناهج الدراسية، أو مقرر من المقررات، أو كتاب من الكتب، إعدادا رقميا تفاعليا، يرفد العميلية التعليمية ويغنيها ويثريها، بل قد يقوم مقامها في بعض الأحيان.. وفيما يأتي بعض وجوه هذه الإفادة:

أ- المكتبة الرقمية

لم يعد أمر البحث في العربية مقصوراً على الكتب والمكتبات والدوريات والمجلات ، وإنما امتد في عصر المعلوماتية والحاسوب ليصبح بمتناول كل من يمتلك الحاسوب أو يجلس إليه أو يعبث بأزراره، فما هو إلا أن يطلب فيعطى، ويسأل فيجاب،ويبحث فيجد، وغالباً ما يعود من عملية بحثية لم تستغرق سوى ساعات معدودات بزاد وفير وعلم غزير وإجابات شافية وحلول وافية. وما أحسبني مبالغا إذا قلت: إن الرحلة التي كانت تتطلب شهراً أو شهرين في طلب بيت من الشعر لم تعد تحتاج في كثير من الأحيان إلى أكثر من دقيقة أو دقيقتين، ورحم الله شيخنا النفاخ فقد سمعت منه غير ما مرة أنه قد يلبث بضعة أشهر في البحث عن بيت من الشعر ثم يجده أو لا يجده!

تعريف المكتبة الرقمية

تعرف المكتبة الرقمية بأنها المكتبة التي توفر نص الوثائق والمصادر في شكلها الإلكتروني سواء كانت منشورة على الشابكة (internet) أم مخزنة على الأقراص المدمجة CD أو الصُّلْبة Hard أو غير ذلك من وسائل التخزين المحدثة (flash memory). وتمكن الباحث من الوصول إلى البيانات والمعلومات المخزنة إلكترونياً من خلال شبكات المعلومات.

فالمكتبة الرقمية تختزن أساساً مواد في شكلها الإلكتروني، وتسيطر على مجموعة ضخمة من هذه المواد بفعالية؛ ولذا فإن البحث في المكتبات الرقمية ما هو في الحقيقة إلا بحث في شبكات المعلومات ونظمها[٩٧].

مزايا المكتبة الرقمية:

تمتاز المكتبة الرقمية بعدة مزايا أهمها:

١ – توفير حجم كبير من البيانات والمعلومات.

٢ – اختصار الكثير من الوقت والجهد.

٣ – تمكين الباحث من السيطرة على مصادر المعلومات الإلكترونية بيسر وسهولة ودقة وفاعلية، بحيث يمكنه التنظيم والتخزين والحفظ والاسترجاع والتعديل.

٤ – تمكين الباحث من الاتصال بزملائه عن طريق البريد الإلكتروني، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات المرئية.

٥ – إتاحة المجال أمام الباحث لنشر نتائج بحثه (نشراً إلكترونياً) فور انتهائه منه[٩٨].

وإذا كان للمكتبات الورقية أنظمه ترتبها وتصنفها كنظام ديوي العشري فإن المكتبة الرقمية لا نظام لها ولا حدود تحدها، إنها من السعه بحيث لا تقبل التحديد ومن التنوع بحيث

---

[٩٧]) البحث العلمي ٢٦١-٢٦٢.

[٩٨]) البحث العلمي ٢٦٢-٢٦٣.

لا تقبل الترتيب والتصنيف! كلما سئلت أجابت ولديها المزيد. والإبحار عبر الشابكة يثبت لك صحة قولي فمئات المواقع العربية ترفد الثقافة العربية بكل غني ومفيد، وفيها مواقع متخصصة لخدمة اللغة وفنونها المختلفة بدءا من النحو والصرف ومرورا بالبلاغة والعروض وانتهاء بمهارات الكتابة والإملاء.

ب- البرامج والنظم الإلكترونية:

ثمة برامج ونظم إلكترونية وضعت لخدمة فنون العربية المختلفة كتعليم النحو، والعروض، والتدقيق الآلي، والتصحيح النحوي، والنظام الصرفي، والترجمة الآلية إلى العربية، وتحويل الكلام المكتوب إلى منطوق والعكس، وغير ذلك. وسأقتصر هنا على نظامين كان لي شرف المشاركة فيهما من خلال عملي في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا التابع لمركز الدراسات والبحوث العلمية بدمشق، وقد أنجزا بتكليف ورعاية وتحكيم من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) وهما:

١. النظام الصرفي العربي:

يرمي هذا النظام إلى استعمال الحاسوب في الانتقال من الجذر الثلاثي أو الرباعي إلى الكلمات المشتقة منه، إذ يقوم الحاسوب اعتمادا على المعجم الحاسوبي وعلى قوانين النحو والصرف بعمليتي الاشتقاق والتصريف (التوليد والتحليل).

أما في **الاشتقاق** فهو يولد:

- الأفعال المجردة محددا أبوابها التصريفية،وما يدل على لزومها وتعديتها،مع تحديد نوع الفعل المجرد من حيث الصحة و الاعتدال و الهمز و التضعيف.
- الأفعال المزيدة وأوزانها الصرفية،وما يدل على لزومها وتعديتها.
- الأسماء المشتقة: (اسم الفاعل ومبالغته ، واسم المفعول، واسما الزمان والمكان ، وأسماء الآلة ، واسم التفضيل ، والصفات المشبهة).
- المصادر السماعية للأفعال الثلاثية المجردة.

- المصادر القياسية للأفعال الثلاثية المزيدة وللأفعال الرباعية المجردة والمزيدة.

وأما في **التصريف** فهو يحلل:

- الأفعال (المجردة و المزيدة) عند إسنادها إلى جميع الضمائر (ضمائر المتكلم و المخاطب والغائب)، في صيغة الماضي والمضارع (مرفوعاً ومجزوماً ومنصوباً ومؤكداً) والأمر (مؤكداً وغير مؤكد). وذلك في حال بناء الفعل للمعلوم وبنائه للمجهول.
- الأسماء المشتقة والمصادر مفردة ومثناه ومجموعة، مذكرة ومؤنثة، وذلك في جميع حالاتها الإعرابية (الرفع والنصب والجر)، مع مراعاة الاسم من حيث تنكيره وتعريفه وإضافته.

ويمتاز هذا النظام بما يأتي:

- استيعابه جميع جذور العربية، فقد حوى:

(٧٨٢٠) جذر ثلاثي ورباعي.

(٢٣٦٥٥) فعل ثلاثي ورباعي، مجرد ومزيد.

(١١٩٧٠) مصدر سماعي.

- قدرته على توليد جميع الأسماء المشتقة والمصادر القياسية.
- استغراقه جميع أبوب النحو والصرف المتعلقة بالاشتقاق وبتصريف الأفعال والأسماء، وكذلك قواعد التصريف المشترك (الإعلال، والإبدال، والإدغام).
- قدرته على رسم الهمزة وفق قواعد رسمها.
- ضبطه التام للكلمات بالشكل.
- سهولة التعامل معه وسرعة تنفيذه[٩٩].

٢. تعلم قواعد اللغة العربية بالحاسوب:

[٩٩]) أسلوب معالجة اللغة العربية في المعلوماتية ٢٥ وما بعدها.

وهي مجموعة برامج حاسوبية شاركت في إعدادها مع فريق من الباحثين في مركز الدراسات والبحوث العلمية بدمشق بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يختص كل منها بدرس من دروس قواعد العربية، كالأفعال الخمسة، والحال، وكان وأخواتها...وقد تم إعدادها على نحو يتوافر فيه صفة الإنتاج الجيد علميا وتربويا وفنيا، واستخدمت فيها تقنيات الوسائط المتعددة (Multimedia) وروعيت فيها النقاط الآتية:

- السهولة والوضوح، واجتناب كل استثناء أو شذوذ.
- العرض الشائق والتفاعل المتواصل.
- الإكثار من الأمثلة والشواهد.
- التدريبات والاختبارات مع التصحيح ومنح الدرجة المستحقة.
- تزويد كل درس بمكتبة يطلع الطالب من خلالها على عدة كتب تناولته.
- تزويد كل درس بفلم فيديو[١٠٠].

ج- مواقع الشابكة (الإنترنت)

ثمة مجالات كثيرة تستخدم فيها الشابكة (الإنترنت) لتوفير الخدمات للمكتبة الإلكترونية، ومن أهمها:

١ - المصادر الإلكترونية كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والموسوعات المختلفة، والمعجمات...

٢ - المجلات والصحف الإلكترونية العامة والمتخصصة.

٣ - فهارس المكتبات العالمية، حيث توفر أكثر من ألف مكتبة وطنية وجامعية فهارس على (الإنترنت)، هذا بالإضافة إلى الببليوغرافيات والكشافات المختلفة.

---

١٠٠) تعلم قواعد اللغة العربية بالحاسوب، بحث نشر في سجل الندوة العلمية الثالثة حول واقع المعلوماتية في سورية ١٩٩٥م.

٤ – تطوير مجموعات المكتبة ومقتنياتها من خلال التزود الإلكتروني عن طريق الاتصال المباشر بدور النشر.

٥ – البحث عن أي مجال معرفي عن طريق محركات البحث.

٦ – تقديم خدمات مرجعية سريعة وواسعة ودقيقة[١٠١].

وتحظى العربية بنصيب لا بأس به في مواقع الشابكه الإنترنت ــ وإن كان صغيرا بالقياس إلى مواقع اللغات الأخرى ولا سيما الإنجليزية ــ والمتصفح لها يتقلب بين مواقع الأدب والشعر واللغة والنحو والعروض حتى ليغلب على الظن أنه ما من فن من فنون اللغة إلا وأنت واجد له حيزا ما في هذه الشابكة، وتوفر لك محركات البحث خدمه سريعة للوصول إلى طلبتك، فما هو إلا أن تحدد ما تريد بكتابته على محرك للبحث كمحرك (googol) حتى تحظى بسيل من المواقع التي ورد فيها ما حددت، ومن ثم تعمد إلى استعراضها واحدة واحدة لتميز سمينها من غثها وتحظى منها بما تريد وتصل إلى ما تبغي، سواء كان ذلك بيتا من الشعر، أو علما من الأعلام، أو مسألة من المسائل، ناهيك عن البحث عن آية كريمة، أوحديث شريف، أو خبر من الأخبار، أوما يتصل بذلك من أمور.

إن مواقع العربية على الشابكه لا تقتصر على عرض المادة اللغوية أو وضع مصادر اللغة وأمات الكتب العربية والمعجمات في داخلها، بل تتعدى ذلك كله إلى مواقع تعليمية تعلم فنون اللغة والأدب، فمن فن العروض إلى فن الكتابة والإملاء والنحو والبلاغة والشعر وغير ذلك.

بل إن الجامعات الافتراضية والمفتوحة باتت تعتمد الشابكة مصدرا رئيسيا من مصادر التعليم فيها، إذ تشتمل مواقعها على مقررات علمية تكاد تغني الطالب عن حضور المحاضرات

---

١٠١) البحث العلمي ٢٨٧ .

التقليدية بما تشتمل عليه من محتوى المقرر، ووجوه التفاعل معه، ومع مدرّسه وزملاء الدراسة فيه.

وسأعرض فيما يأتي لأمثله من بعض المواقع المعنية بالعربية ومصادرها مع نبذة بسيرة عن كل منها، أختمها بنبذة عن تعليم العربية في الموقع التعليمي للجامعة العربية المفتوحة التي كنت أتولى فيها رئاسة مقررات اللغة العربية:

- **الموسوعة الشاملة:**

نعت هذا الموقع بأنه أضخم محرك بحث في الكتب الإسلامية والعربية، إذ يشتمل على أكثر من ٣٣٠٠ كتاب، وزعت في أقسام للبحث تناولت القرآن وعلومه وتفاسيره، والحديث ومتونه ورجاله، والعقيدة والفقه والفتاوى، وعلوم العربية والمعاجم وكتب الأدب، والسيرة والتاريخ والتراجم والطبقات....إلخ

- **الوراق:**

نعت هذا الموقع بأنه أكبر مكتبة عربية تراثية على الإنترنت، وهو يشتمل على مئات الكتب في شتى العلوم والفنون العربية.

- **مكتبة مشكاة الإسلامية:**

يشتمل هذا الموقع على ٢٦٤٧ كتاب، فضلا عن المقالات والدروس والفتاوى.

- **جامع الكتب المصورة٦٠ الف عنوان**

http://kt-b.com/

- **رشف قاعدة بيانات الكتب العربية**

http://rashf.com/

- **المكتبة الإفتراضية**

مدونة هادفة تضم العديد من الكتب المميزة

http://www.maktaba-virtu.blogspot.com/

- **الهاردسك الإسلامي العملاق (٢ تيرا) يحتوى على:**

عشرات الآلاف من الكتب والمخطوطات والملفات الصوتية والمرئية وملفات منوعة أخرى

http://fiseb.com/islamichard/

- **المنبر التعليمي للجامعة العربية المفتوحة** (LMS) Arab Campus E-Learning System :

وهو موقع إلكتروني خاص بالجامعة العربية المفتوحة وفروعها الثمانية (في الكويت ولبنان والسعودية والأردن والبحرين ومصر وعمان والسودان) يشتمل على نظام تعليمي متكامل لمقررات الجامعة المختلفة، يتيح للطالب التفاعل مع أجزائه المتنوعة، والاطلاع على مقررات الجامعة المطلوبة من خلاله، وتعلم وحدات كل مقرر وفق التقويم الجامعي المتبع، وسؤال المدرس عن كل ما يعرض له من مشكلات، والتحاور مع زملائه ومدرسه في المنتدى المخصص لذلك، وتقديم الواجبات في مواعيدها المحددة، وغير ذلك من وجوه التفاعل مع المقرر وأستاذ المقرر.

كما يتيح للمدرس أن يدخل عبره إلى شعبه المختلفة، ويتعرف إلى طلابه، ويخاطبهم، ويجيب عن تساؤلاتهم، ويتابع نشاطاتهم، ويقبل واجباتهم، ويصححها، ويقومها، ويعيدها إليهم، ويطلعهم على ما حصلوه من درجات، ويقدم لهم ما يعينهم من مواد مساندة للمقرر، ويمكن أن يضع لهم تسجيلا مرئيا لمحاضرات المقرر... وغير ذلك من وجوه التفاعل مع المقرر وطلبة المقرر.

- **الكتاب الرقمي التفاعلي**

وهو الكتاب الذي يُحمَّل على أجهزة التواصل الإلكترونية كالجوَّال والآيباد، فيستغني به الطالب عن الكتاب الورقي، ويجد فيه من ضروب التعلم ما لا يجده في الكتاب الورقي، كمتابعة نصوص الكتاب ووحداته المختلفة صوتًا وصورةً، والتفاعل مع هذه النصوص

بالاطلاع على تراجم أصحابها، أو معاني غريب كلماتها، أو حل تدريباتها، أو التعليق عليها بملاحظة ما أو سؤال أو مناقشة أو تلخيص يحفظ ليعود الطالب إليه عند الحاجة... إلى غير ذلك من وجوه التفاعل التي تجعل من الكتاب جامعًا بين الفائدة والمتعة، والتعليم والتعلُّم، والبيان والتبيُّن.

وقد تم إنجاز كتابَي مهارات الاتصال في اللغة العربية: مدخل إلى المهارات اللغوية، وقراءات أدبية. فصارا كتابين رقميين تفاعليين.

ثاني عشر: عرض روائع العربية

من بيان ساحر... وإيجاز باهر... وثراء نادر...

وفيما يأتي نبذة عن كل منها[١٠٢]:

أ- البيان الساحر

قال ابن المعتز: البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول.

وقال الجاحظ في حدِّ البيان: البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى.

وقال أمير الشعراء شوقي في جمال العربية:

إِنَّ الَّذي مَلَأَ اللُغاتِ مَحاسِناً جَعَلَ الجَمالَ وَسَرَّهُ في الضادِ

وأزيد فأقول

لغةٌ بها نزلَ الكتابُ مفصَّلا فسمَتْ بِهِ عن سائر الأندادِ

وبعد...

فلبيان العربية أثر لا يدانيه أثر، إنه سحر عجيب، يرفع ويخفض، يجرح ويأسو، يصنع الأعاجيب.

---

[١٠٢] وهي مقبوسة من كتابي: ملامح من بيان العربية وجمالها.

ألم يأتك نبأ القوم الذين كانوا يعيرون باسم غلب عليهم وعرفوا به، وهو (أنف الناقة) فجعل منه الحطيئة شرفا لا يعدله شرف، حين قال في حقهم:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهمُ ومن يسوّي بانف الناقة الذنبا

على حين نزل جرير بآخرين إلى درْك ما دونه درْك حين قال في حق شاعرهم:

فَغُضَّ الطَرفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ فَلا كَعباً بَلَغتَ وَلا كِلابا

إنه البيان الذي جعله المولى عز وجل على رأس آلائه التي امتن بها على خلقه من الإنس والجن، وقرنه بنعمة الخلق حيث قال: ﴿الرَّحْمَٰنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن ١- ٤]

وحسبك به من نعمة توصل إلى نعم كثيرة، وهل يدرك القرآن إلا بالبيان؟ أو يوصل إلى الإيمان إلا بالبيان؟ أو يحمد الرحمن إلا بالبيان؟

بل هل يتواصل الإنسان إلا بالبيان؟ أو يعبر عن أرق مشاعره وأحاسيسه إلا بالبيان؟.

إن البيان إذا ما رضي أرضى الناس جميعا وداخَلَ الضمائر والقلوب:

إذا ما صافحَ الأسماعَ يوماً تبسَّمَتِ الضَّمائرُ والقلوبُ

وإذا ما غضب أو سخط أسخط كل من يسمعه وخلّف جرحا لا يندمل:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

إنه الكلام الذي يمتزج بأجزاء النفس لطافةً.. وبالهواء رقةً .. وبالماء عذوبةً.. إذا ما سمعته فكأن السحر يدِبّ في جسدك.

ولا غرو فقد وصفه بذلك أفصح من نطق به، وهو رسولنا المعظم ﷺ حيث قال:" **إن من البيان لسحرا**".

ب – الإيجاز الباهر

عرِّفت البلاغة قديما بأنها الإيجاز، وقد وردت في ذلك أخبار، ورويت في ذلك شواهد وأشعار، أقتصر منها على إيماءات موجزة تشير إلى معنى الإيجاز وأهميته، لأنتقل بعدها إلى سرد شواهد مختلفة للبيان والإيجاز، في بعض فنون العربية:

قال معاويةُ لصُحار بن عيّاش العبدي (وهو من كبار الخطباء والبلغاء):

ما تعدُّن البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز.

قال له معاوية: وما الإيجاز؟

قال صُحار: أن تُجيب فلا تبطئ، وتقولَ فلا تخطئ.

فقال له معاوية: أوكذلك تقول يا صُحَار؟

قال صُحار: أقِلْني يا أمير المؤمنين، ألا تُبْطِئ ولا تُخْطئ.

وفي رواية: قال: مثل ماذا؟ قال: مثل هذا.

فانظر كيف أوجز وأعجز!! فما أسرع جوابه وما أحسن صوابه!!

و قال الجاحظ:

أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه.

وفيما يأتي نماذج من روائع البيان والإيجاز:

- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل ٩٠)

هذه الآية من جوامع الآيات الواردة في القرآن الكريم، روي أن النبي ﷺ قرأها على الوليد بن المغيرة فقال له: يا ابن أخي، أعد، فأعاد النبي ﷺ قراءتها عليه، فقال له:

"إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر ،وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وما هو بقول البشر."

وقد ذكر علماء البلاغة في هذه الآية عشرة أنواع من المحسنات البديعية، منها صحة التقسيم، والطباق والمقابلة، والائتلاف وحسن والبيان، والإيجاز

ولعل أهم ما يلفت النظر في هذه الآية الإيجاز، إذ أمر فيها رب العزة بكل معروف، ونهى عن كل منكر، ليختم بأبلغ موعظة.

قال ابن مسعود: هذه أجمع آية في القرآن لخير يمتثل، ولشر يجتنب.

وأخرج البيهقي في الشعب عن الحسن أنه قرأ هذه الآية : ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُ بالعدل والإحسان..﴾. إلى آخرها ، ثم قال : إن الله عزّ وجلّ جمع لكم الخير كله ، والشرّ كله ، في آية واحدة ، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلاّ جمعه ، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلاّ جمعه .

- **جوامع الكلم**

وهي أحاديث نبوية قليلة الألفاظ كثيرة المعاني

فمن ذلك ما جرى مجرى المثل وروته كتب الأمثال كمجمع الأمثال للميداني، وفيما يأتي مجموعة منها:

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

كلكم راع ومسؤول عن رعيته.

نعمتان مغبون فيها كثير من الناس: الصحة والفراغ.

- عمر بن الخطاب:

- كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري:

" خذ الناس بالعربية فإنها تزيد في العقل وتثبت المُروءة".

- علي بن أبي طالب

(قيمة كل امرئ ما يحسنه)

- خالد بن صفوان:

– قال خالد بن صفوان لفتى بين يديه:

"رحم الله أباك إن كان ليملأ العينَ جمالاً والأذنَ بياناً"

وقال أيضا

" ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة، أوبهيمة مرسلة، أو ضالة مهملة"

- عمر بن عبد العزيز

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير العراق:

"أما بعد فقد كثر شاكوك، وقل شاكروك، فإما اعتدلت، وإما اعتزلت".

ويقودنا هذا إلى ذكر مواقف رائعة يرويها الرواة، و يتبدى فيها الارتجال في الشعر في أجمل صوره:

- **ابن عباس**

روى الزبير بن بكار قال: استنشد عبد الله بن عباس – رضوان الله عليه – عمر بن أبي ربيعة فأنشده:

تشط غداً دار جيراننا

فبدره ابن عباسٍ، فقال:

وللدار بعد غدٍ أبعد

فقال له عمر: كذلك قلت، أصلحك الله! أفسمعته؟ قال: لا، ولكن كذلك ينبغي أن يكون.

- **أبو تمام**

أخبار أبي تمام مع أحمد بن المعتصم

حدثني مُحَمَّد بن يحيى بن أبي عباد قال، حدثني أبي قال، شهدت أبا تمامٍ ينشد أحمد بن المعتصم قصيدته التي مدحه بها:

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ تَقْضِي ذِمامَ الأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ

فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أنْ تُعِينَ بِمَائِهَا وَالدَّمْعُ مِنهُ خَاذِلٌ وَمْوَاسِي

والناس يروون هذا – أن تعين بمائها– وهو تصحيف، فلما قال:

أَبْلَيتَ هذَا المِجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ فِيهِ وَأَكرَمَ شِيمةٍ ونِحَاسِ

إِقْدَامَ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

قال له الكندي، وكان حاضراً وأراد الطعن عليه: الأمير فوق من وصفت، فأطرق قليلاً، ثم زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها:

لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلاً شَرُوداً فِي النَّدَى وَالبَاسِ

فالله قد ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ مَثَلاً منَ المِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ

ج – الثراء النادر:

كل من درس العربية وتوفر عليها، ودرس غيرها من اللغات المعروفة المشهورة، يعلم علما لا يخالطه أدني ريب أنها من أغنى اللغات وأثراها، وأن شاعر النيل محق إذ يقول بلسانها:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

وهذه ليست شهادة أهلها فحسب، بل شهادة غيرهم ممن درسها وعرف أبعادها، يقول المستشرق الألماني فرنباغ :" ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب ، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العدّ ، وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجاباً لا يتبيّن ما وراءه إلاّ بصعوبة".

وأما ثراء العربية وغناها فقد سلختُ في حبِّ العربية وعشقها وتعلُّمها وتعليمها والبحث فيها ورفع رايتها نحوًا من نصف قرن، ولا والله ما تعلَّمتُ فيها مسألةً أو اطَّلعت على بيتٍ أو تلوت سورةً أو تدبرت آيةً أو غصت على معاني كلمة في معجم، إلا ازددتُ يقينًا بأن ما أعلمه فيها إن هو إلا حسوةُ طائر من بحرٍ لا يدرك قعره، أو نظرةُ حائرٍ في فضاء لا حدودَ له، وأنها أعظم وأكبر من أن يُحاط بها، وأن الإمام الشافعي رحمه الله قد صدق عندما قال: "لسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلم أنه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي".

وحسبي أن أسوق هنا بعض المعالم التي تدل على هذا الغنى والثراء

١. معجمات المعاني

المعجمات في العربية نوعان، معجمات ألفاظٍ، ومعجمات معانٍ، فالأول يعين على معرفة معنى لفظ لا نعرف معناه أوضبط لفظ نشك في ضبطه، والثاني يعين على معرفة اللفظ الدقيق لمعنى يدور في الخلَد لا ندري كيف نعبر عنه. والنوع الأول هو المعروف المشهور لدى عامة الناس وخاصتهم.

وأما النوع الثاني وهو معجمات المعاني، فهو من مفاخر التأليف المعجمي العربي، إذ هي تعنى بسرد الألفاظ المناسبة للمعاني، فتسرد عشرات الألفاظ لمعنى ما موضحة الدلالات الدقيقة لاختلافها، ولعل أعظم معجمات المعاني معجم المخصص لابن سيدة وهو في سبعة عشر جزءًا، تنطق كل صفحة فيها بمقدار سعة العربية وثرائها. وأما المعجم الأشهر في هذا الباب فهو فقه اللغة للثعالبي، وسأعرض فيما يأتي أمثلة منه:

فمن ذلك سرد ألفاظ المطر مرتبة حسب قوة المطر وغزارته بدءًا من أخفه وانتهاءً بأغزره في الفصل الخامس "في تَرْتِيبِ الأَمْطَارِ":

"أَوَّلُ المطَرِ رَشٌّ وَطَشٌّ. ثُمَّ طَلّ وَرَذَاذ. ثُمَّ نَضْح ونَضْخ "وهو قَطْر بَيْنَ قَطْرَيْنِ". ثُمَّ هَطْل وَتَهْتَان. ثمّ وابل وجود."[١٠٣]

و تَقْسِيمِ خُرُوجِ الماءِ وسَيَلاَنِهِ مِنْ أَمَاكِنِهِ:

"مِنَ السَّحَابِ **سَحَّ**. مِنَ اليَنْبُوعِ نَبَعَ. مِنَ الحَجَرِ **انْبَجَسَ**. مِنَ النَّهْرِ **فَاضَ**. مِنَ السَّقْفِ **وَكَفَ**. مِنَ القِرْبَةِ **سَرَبَ**. مَنَ الإِنَاءَ **رَشَحَ**. مَنَ العَيْنِ **انْسَكَبَ**. مِنَ المِذَاكِيرِ **نَطَفَ**. مِنَ الجرح **ثعّ**."[١٠٤]

وتفصيل شَقِّ الأَعْضَاءِ:

"إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مَشْقُوقَ الشَّفَةِ العُلْيا فَهُوَ **أَعْلَمُ**. فإذا كَانَ مَشْقُوقَ الشَّفَةِ السُّفْلى فَهُوَ **أَفْلَحُ**. فإذا كَانَ مَشْقُوقَهُمَا فَهُوَ **أَشْرَمُ**. فإذا كَانَ مَشْقُوقَ الأَنْفِ فَهُوَ **أَخْرَمُ**. فإذا كَانَ مَشْقُوقَ الأُذُنِ فَهُوَ **أَخْرَبُ**. فإذا كَانَ مَشْقُوقَ الجفن فهو **أشتر**."[١٠٥].

ومن بديع ثراء العربية وغناها وسعتها ودقتها وعنايتها بالزمن أنك تجد فيها لكل ساعة من ساعات الزمن في الليل والنهار اسما متميزا تعرف به، وقد أورد الثعالبي في كتابه النفيس فقه اللغة الفصل الآتي:

في تعديد ساعات النهار والليل على أربع وعشرين لفظة

عن حمزة بن الحسن وعليه عهدتها:

---

١٠٣ فقه اللغة وسر العربية ١/١٩٠.

١٠٤ فقه اللغة ١/١٩٢.

١٠٥ فقه اللغة ١/١٦٥.

سَاعَاتُ النَّهارِ: الشُرُوقُ. ثُمَّ البكورُ. ثُمَّ الغُدْوَةُ. ثُمَّ الضُّحَى. ثُمَّ الهاجِرَةُ. ثُمَّ الظَهِيرَةُ. ثُمَّ الرَّوَاحُ. ثُمَّ العَصْرُ. ثُمَّ القَصْرُ. ثُمَّ الأصِيلُ. ثُمَّ العَشِيُّ. ثُمَّ الغُروبُ.

سَاعَاتُ اللَّيلِ: الشَّفَقُ. ثُمَّ الغَسَقُ. ثُمَّ العَتَمَةُ. ثُمَّ السُّدْفَة. ثُمَّ الفَحْمَةُ. ثُمَّ الزُّلَّةُ. ثُمَّ الزُّلْفةُ. ثُمَّ البُهْرَةُ. ثُمَّ السَّحَرُ. ثُمَّ الفَجْرُ. ثُمَّ الصُّبْحُ. ثُمَّ الصَّباحُ.

"وبَاقي أسْماءِ الأوْقَاتِ تَجِيءُ بِتَكْرِيرِ الألفاظ التّي معانيها متّفقة"[١٠٦].

ويلاحظ أن أسماء الساعات هذي تشتمل على أوقات الصلوات الخمس. ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾.[١٠٧]

ثالث عشر: التفنن في تدريس علوم اللغة

لكل علم من علوم اللغة أفانين يمكن للمعلم أن يصطنعها ويتوسل بها إلى عقول الطلبة ومداركهم، وقد تقدمت طرائف وشواهد وأمثلة في فقرة مزج النحو بالأدب[١٠٨] تتعلق بدروس النحو، وتجعل الطالب متشوقًا له مشدودًا إليه، وفيما يأتي أمثلة من علوم اللغة الأخرى:

أ- الصرف

- أنموذج لدرس اللفيف المفروق[١٠٩]:

هذا أنموذج لدرس يبدأ بقصة، ويثني بأبيات طريفة تشتمل على تصريف كامل للفعل المعروف باللفيف المفروق:

حكى السيوطي في (البغية) أن أبا حاتم السجستاني(١١٠) دخل بغداد فسُئل عن قوله

---

[١٠٦] فقه اللغة ١/ ٢١٥.

[١٠٧] الزمن في اللغة. مقال في مجلة التقدم العلمي العد٧١ ديسمبر ٢٠١٠ ص٤٠.

[١٠٨] انظر ما تقدم : ثامنا مزج النحو بالأدب ص ٢٤ .

[١٠٩] من مقال لي بعنوان ما بني من الأفعال على حرف واحد. انظر كتابي تحت راية العربية٣٠٢ – ٣٠٤.وا نظر بحثي الموسع: "فوائت ابن مالك من أفعال اللفيف المفروق". مجلة الدراسات اللغوية، المجلد ١٤، العدد ٣، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م

(١١٠) الإمام العلامة سهل بن مُحَمَّد بن عثمان السجستاني ثم البصري، مقرئ نحوي لغوي، أخذ عن أبي زيد

تعالى :﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ [١١١] ، ما يقال منه للواحد ؟ فقال : قِ ، فقال : فالاثنين ؟ فقال : قيا . قال فالجمع ؟ قال : قوا ، قال : فاجمع لي الثلاثة ، قال : قِ ، قيا ، قوا .

قال وفي ناحية المسجد رجل جالس معه قماش ، فقال لواحد : احتفظ بثيابي حتى أجيء ، ومضى إلى صاحب الشُّرطة ، وقال : إني ظفرت بقومٍ زنادقة يقرؤون القرآن على صياح الديك . فما شعرنا حتى هجم علينا الأعوان والشُّرطة فأخذونا وأحضرونا مجلس صاحب الشُّرْطة ، فسألنا فتقدمت إليه وأعلمته بالخبر وقد اجتمع خلق من خلق الله ، ينظرون ما يكون ، فعنَّفني وقال : مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا ! وعمَد إلى أصحابي فضربهم عشرة عشرة ، وقال : لا تعودوا إلى مثل هذا ، فعاد أبو حاتم إلى البصرة سريعاً ، ولم يُقِمْ ببغداد ولم يأخذ عنه أهلها[١١٢] .

فعل وقى وأمثاله عند الإسناد

سقت هذه القصة لأتوقف عند فعل (وقى) وما لفَّ لفّه مما يسمّى في العربية باللّفيف المفروق، إذ تحذف مه فاؤه لدى تصرّفه في المضارع كما تحذف من المثال الواوي كوعد يعِد ، وورد يرِد لوقوعها بين عدوتيها الياء المفتوحة والكسرة فيصير : (يقي) ثم يُبنى على حذف حرف العلة من آخره لدى تصرفه في الأمر كما يُبنى كل معتل ناقص كـ (اسعَ ، وامشِ ، وادنُ) فيصير (قِ) أي إنه يبقى على حرف واحد هو عين الكلمة .

وقد جمع هذه الأفعال ابن مالك صاحب الألفية مبيّناً كيفية إسنادها للواحد المذكر ، ثم

الأنصاري والأصمعي ويعقوب الحضرمي، وتصدّر للإقراء والحديث والعربية. حدّث عنه أبو داود والنسائي وعدد كثير، وتخرّج به أئمة منهم المبرد، وله باع طويل في اللغة والشعر والعروض واستخراج المعمّى. خلّف آثاراً كثيرةً منها: إعراب القرآن، والمقصور والممدود، وما يلحن فيه العامة، والقراءات، واختلاف المصاحف. وكان يقول قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين. توفي سنة ٢٥٥هـ، سير أعلام النبلاء ٢٦٨/١٢ . ٢٧٠. وانظر طبقات النحويين واللغويين للزُّبيدي ٩٤ . ٩٦، وبغية الوعاة ٦٠٦/١.

(١١١) سورة التحريم: ٦.

(١١٢) بغية الوعاة ٦٠٦/١

المثنى مطلقاً ، ثم الجمع المذكر ، ثم الواحدة ثم جمعها ، وذلك في عشر أبيات طريفة . ليست من الألفية . يقول فيها :

إنّي أقـــولُ لمـــنْ تُرجـــى مودَّتُـــهُ		قِ المســتجير قيــاهُ قُــوهُ قِــي قِــينَ
وإنْ صــرفتَ لــوَالٍ شُــغْلَ آخــرَ قُــلْ		لِ شُــغْلَ هــذا لِيــاهُ لُــوهُ لِي لِــينَ
وإنْ وشَــى ثــوبَ غــيري قلــتُ في ضــجرٍ		شِ الثوبَ وَيْكَ شِياهُ شُوهُ شِي شِينَ
وقُــلْ لقاتِــل إنســانٍ علــى خطــأٍ		دِ مَــنْ قتَلْــتَ دِياهُ دُوهُ دِي دِيــنَ
وإنْ هــمُ لمْ يَــرَوْا رأيــي أَقُــولُ لهــمْ		رَ الــرأيَ وَيْــكَ رَياه رَوْه رَيْ رَيْــنَ
وإنْ هــمُ لمْ يَعُــوا قــوْلِي أَقُــولُ لهــمْ		عِ القــولَ مِــيِّي عِيــاهُ عُــوهُ عِــي عِــينَ
وإن أمَــرْتَ بِــوَأْيٍ للمُحِــبِّ فقــلْ		إِ مَــنْ تُحِــبُّ إياهُ أوهُ إِي إيــنَ
وإنْ أردْتَ الــوَنَ وَهْــوَ الفُتُــورُ فقــلْ		نِ يا خَلِيلِــي نِيــاهُ نُــوهُ نِي نِــينَ
وإنْ أبَى أن يَفِــي بالعهــدِ قلــتُ لَــهُ		فِ يا فــلانُ فِيــاهُ فُــوهُ فِي فِــينَ

وقُــلْ لســاكِنِ قلْــبِي إنْ سِــوَاكَ بِــهِ		جِ القلبَ مِنِّي جِياهُ جُوهُ جِي جِينَ[١١٣]

ذكر هذه الأبيات الشيخ الخضري في حاشيته على ابن عقيل ثم أردفها بالقول : " فهذه عشرة أفعال كلها بالكسر إلا (رَ) فيفتح في جميع أمثلته لفتح عين مضارعه ، وكلها متعدية إلا (نِ) فلازم لأنه بمعنى تأنَّ . فالهاء في نِيَاه هاء المصدر لا المفعول به "[١١٤] .

ب- العروض

- **العلاقة بين العروض والنغم والإيقاع[١١٥]**

ما درّست العروض مرة إلا كان اللحن والغناء والإيقاع والإنشاد وسيلتي إلى تقريبه وتفهيمه وتيسيره وإتقانه، وأنا أردد للطلبة دائما: العروض علم إرهاف الآذان وإتقان الألحان، يتطلب أول ما يتطلب ذوقاً سليماً وأذناً مرهفةً تميز الإيقاع الصحيح من الإيقاع المختل، والنغم المنضبط من النغم النشاز.

ولم أكن في ذلك بدعا فعلم العروض ما نشأ مذ نشأ إلا في كنف الغناء والإيقاع، حتى إن الرواة رووا أن صاحبه ومنشئه الخليل بن أحمد ولدت في ذهنه فكرته في سوق النحاسين وعلى وقع مطارقهم (تِك تِك تِتِك). بل إن حسَّان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:

تغنَّ بالشِّعْرِ إمّا كنتَ قائلهُ		إنَّ الغناء لهذا الشعرِ مضمارُ

والعلاقة بين الشعر وبين الموسيقى والنغم والإيقاع علاقة وثيقة لا تكاد تخفى على أحد،

---

(١١٣) حاشية الخضري على ابن عقيل ٣١، وحاشية تشويق الخلان على شرح الآجرّومية ٩٤، والفضل في تنبيهي على هذه الأبيات ومصدرها ينصرف إلى شيخنا العلامة مُحَمَّد صالح الفرفور رحمه الله تعالى وجزاه الجزاء الأوفى.

(١١٤) حاشية الخضراوي ٣١.

١١٥ من بحث لي بعنوان : إحياء العروض . نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٧٣، الجزء الثالث. وانظر كتابي تحت راية العربية ص ٢٢٨ – ٢٣٨.

وأمثلتها في أدبنا القديم أكثر من أن تحصى أو تستظهر.

ولعل من أبرز مظاهرها الحُداء الذي كانت تساق به الإبل فإذا ما أسرع الحادي أسرعت الإبل، وإذا أبطأ أبطأت، ومنه الحديث المشهور الذي رواه البخاري في صحيحه: "ارْفُقْ يا أنجشةُ ويحك بالقوارير" يريد أن يبطئ وقع الحُداء لتبطئ الإبل وقع المسير.

ومن نحو هذا ما يروى عن النابغة حين أقوى في شعره فلم ينبهه على ذلك إلا تغني الجواري ومدّهن الصوت بحركة حرف الروي وهو الدال في قوله:

زعم البوارحُ أنَّ رحلتنا غداً		وبذاكَ خبَّرنا الغرابُ الأسودُ
لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً به		إن كانَ تفريقُ الأحبةِ في غدِ

ولأهمية عنصر الموسيقى في الشعر قيل: الشعر موسيقى، وقال النقاد عن البحتري: أراد أن يشعر فغنَّى. ولا أدلّ على ذلك أيضاً من كتاب الأغاني الذي رمى منه مصنفه إلى جمع أشهر أغاني عصره فجاء سجلاً ضخماً لأشعار العرب وأخبار الشعراء والمغنّين على حدٍّ سواء.

وفيما يلي جدولٌ يوضّح مفاتيح أشهر البحور من الأغاني والأناشيد المختارة:

اسم البحر	مفتاحه	ملاحظات
المتدارك	يا ليلُ الصبُّ متى غدُهُ مُضناك جفاهُ مرقدُهُ يا صاحِ الصبرُ وهى منّي رمضان تجلَّى وابتسما	أداء فيروز الموسيقار مُحَمَّد عبد الوهاب صباح فخري إنشاد توفيق المنجد
المتقارب	حماة الديار عليكم سلام	النشيد السوري

الرمل	قسماً بالنازلاتِ الماحقات والذي أسكَرَ من عَرْفِ اللمى يا غزالي كيفَ عنّي أبعدوك	النشيد الجزائري موشح لصباح فخري موشح لصباح فخري
الوافر	سكابا يا دموع العين سكابا	موشح لصباح فخري
البسيط	مولاي صلِّ وسلمْ دائماً أبداً عالروزنا عالروزنا كل الهنا فيها	البردة للبوصيري أغنية لفيروز
الرجز والكامل	صلّوا عليه وسلّموا تسليما الله أكبرُ فوقَ كيدِ المعتدي	نشيد ديني النشيد الليبي
الهزج ومجزوء الوافر	بلادُ العربِ أوطاني	نشيد قومي معروف

هذا وقد نشر مؤخرا في هذا الفن كتاب جليل بذل صاحبه فيه الوسع لهذه الغاية أعني تيسير العروض بتعزيز ملكة السماع لدى الناشئة، والارتقاء بذوقهم الموسيقي.

أما الكتاب فيحمل عنوان: (العروض السماعي- شعر مغنى). وأما المؤلف فهو الأخ الصديق الدكتور جمال قباني، المدرس في جامعة لكويت.

والحق أن في الكتاب جهداً كبيراً، رمى فيه المؤلف إلى تذليل الصعوبات التي تكتنف هذا العلم، حين ربط بينه وبين ما أنشد أو غني من الشعر قديمه وحديثه، مجتنبا الخوض في كثير من مصطلحات هذا العلم التي باتت عبئا على المتعلمين لا تزيدهم فيه إلا جهلا، ولا تمنحهم منه إلا بعدا.

وقد عمد المؤلف إلى تقديم البحور متدرجا من أيسرها وأبسطها، أعني ذات التفعيلة الواحدة، كالمتدارك والمتقارب، وصولا إلى البحور المركبة ذات الأجزاء المختلفة كالخفيف والمنسرح. وأحسن إذ فصل بين تفعيلات البيت بلون مختلف ليقف القارئ بين اللون واللون وقفة ترسخ في أذنه التقطيع المطلوب للبيت، دونما حاجة إلى تلك الإشارات والفواصل والتقطيعات التي تغص بها كتب العروض.

على أن أجلَّ ما صنعه المؤلف – وكل ما صنعه جليل ومفيد – ذلك القرص المرفق الذي حوى نحوا من ألف وخمسمئة ملف مسموع ومقروء، يجد فيها الطالب مئات القصائد المغناة أو المنشدة أو الملقاة بأعذب الحناجر وأجمل الألحان وأجود الإلقاء، وقد صنف كل منها بحسب البحر الذي ينتمي إليه، فجاءت جامعة لبحور الشعر المعروفة، بل هي موسوعة للشعر المغنّى، وهي لعمري خير ما يمكن أن يوصِل إلى إتقان فن العروض، بعد أن بات عصيّا على الفهم، صعبا على الإدراك، لا يكاد يتقنه إلا من رحم ربي من عشاق العربية وسدنتها، وقليل ما هم.

٢ . الإيقاع:

كل شعر . بل كلّ كلام . يتألف من حروف متحركة وأخرى ساكنة، فإذا ما اقترن الحرف المتحرك بالحرف الساكن ألّفا مقطعاً واحداً طويلاً نحو: قا، لَمْ، في، عن... إلخ. وإذا اقترن المتحرك بالمتحرك ألَّفا مقطعين قصيرين نحو: لَهُ، بِكَ...إلخ.

ويمكن أن تتابع الحروف المتحركة فتكوِّن كلها مقاطع قصيرة إلى أن يأتي حرف ساكن فيؤلف مع ما قبله مقطعاً طويلاً نحو:

كَتَبَ / كَتَبَهَا / نُوحِيهَا

تِتِتِ / تِتِتِتِكْ / تِكْ تِكْ تِكْ

٣ مقاطع قصيرة /٣ مقاطع قصيرة + مقطع طويل/ ٣ مقاطع طويلة

والإيقاع يقتضي أن نقابل كل حرف متحرك بنقرة وكل حرف ساكن بعدم النّقرة، فإذا تتابعت الحروف المتحركة تتابعت النقرات، وإذا جاء الساكن انقطعت، وهكذا يمكن أن تكون التفعيلة: **فاعلن** مقابلة للنقرات: تِكْ تِتِكْ. و**فعولن** مقابلة للنقرات: تِتِكْ تِكْ. (التاء هنا تقابل الحرف المتحرك والكاف تقابل الحرف الساكن)، فإذا أخذنا المثال الآتي:

زرنا يومـــاً قومـــاً عـــرباً		قـــالوا أهـــلاً ســـهلاً رحبـــاً

وقرأناه ببطءٍ مع الإيقاع وجدنا إيقاعه أو نقراته على النحو التالي:

زرنا يوماً قوماً عربا

تك تك تك تك تك تك تك تك

قالوا أهلاً سهلاً رحباً

تك تك تك تك تك تك تك تك

وهو أمر نصنعه بطبيعتنا كلما سمعنا كلاماً موزوناً أو ملحّناً، فالحركة تقابلها النقرة والسكون يقابله السكون.

وإذا أخذنا بيتاً آخر:

شـــعر نثـــر علـــم أدب		قلـــب فكـــر نـــور أرب

وقرأناه إيقاعاً وجدنا له الإيقاع نفسه مع اختلاف الجزء الأخير من كل شطر وهو (أدَبٌ وأَرَبٌ) فإيقاع كل منهما (تِتِتِك تِتِتِكْ) خلافاً لإيقاع سائر البيت ففي كل منهما مقطعان قصيران ومقطع طويل.

وهكذا تختلف الإيقاعات باختلاف التفعيلات. ومن المعلوم أن التفعيلات ثمانٍ: أربعٌ أصولٌ يتفرّع عنها أربعٌ فروعٌ، وذلك بقلب الأصول على النحو التالي:

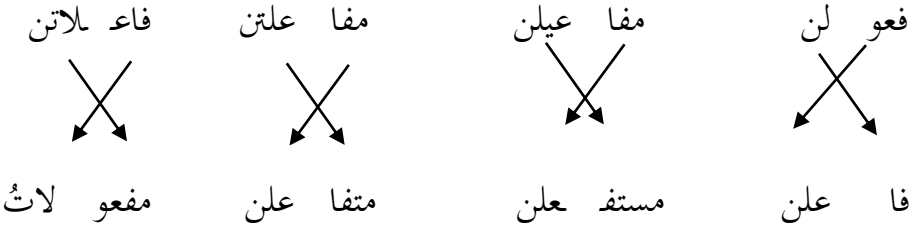

فإذا شفعناها بإيقاعاتها كانت على النحو التالي:

التفعيلة	إيقاعها	التفعلية	إيقاعها
فعولن	تِتِكْ تِكْ	**فاعلن**	تِكْ تِتِكْ
مفاعيلن	تِتِكْ تِكْ تِكْ	**مستفعلن**	تِكْ تِكْ تِتِكْ
مفاعلتن	تِتِكْ تِتِتِكْ	**متفاعلن**	تِتِتِكْ تِتِكْ
فاعلاتن	تِكْ تِتِكْ تِكْ	**مفعولات**	تِكْ تِكْ تِكْ تِ

ولعل من نافلة القول هنا أن نشير إلى أن ما يعتور التفعيلات من تغيرات بالنقصان أو الزيادة، يقابله تغير بقدره في الإيقاع، مثل: فَعُولُ يقابله: تِتِكْتِ، ومفاعِلُن يقابلها: تِتِكْ تِتِكْ.. وهكذا. وبذلك لا يقتصر الإيقاع على تقطيع البيت ـ بعد معرفة بحره غناءً ـ وإنما يعين إلى ذلك على تحديد ما اعتراه من جوازات، وما أصابه من علل وزحافات.

ج– البلاغة:

أكثر ما يلفت نظر الطالب في علم البلاغة إقناعه أنه بليغ يمارس هذه البلاغة في كثير مما يقول ويسمع في حياته اليومية، من خلال ما يردد من أمثال وكنايات شعبية معروفة، لذا يحسن بالمدرس انتقاء الشواهد بعناية، ومحاوله تقريبها من واقع الحياة والأمثال العامية

المعروفة.

وفيما يأتي بعض الأمثلة:

– الجناس

طرقت الباب حتى كلَّ متني فلما كل متني كلمتني

فقالت لي أيا اسماعيلُ صبرا فقلت لها أيا اسما عيلَ صبري

– التشبيه

أنت كالكلب في حفاظك للود د وكالتيس في قراع الخطوب

أنت كالدلو لا عدمتك دلوا من كبار الدلِيّ ضخم الذنوب

– الكناية

من أفضل سبل تعليم الكناية للطلبة تذكيرهم ببعض الكنايات العامية التي نشؤوا على معرفتها ودارت على ألسنتهم وأسماعهم منذ نعومة أظفارهم، ولعل خير ما ألف في هذا الباب كتاب (كنايات الشوام في الألقاب والتخاطب والنداء) للأستاذ منير كيَّال

فقد حوى مئات التعابير العامية التي يفهما كل عربي وقد سرت مسرى الأمثال وحوت فنون البلاغة المختلفة من تشبيه واستعارة وكناية وفي ذلك يقول مؤلفها:

" فوقفت بذلك على كثير من هذه الكنايات التي سرت على لسان الناس مسرى الأمثال وجعلوا منها محطّ الشاهد في أحاديثهم على سبيل الاستعارة والكناية والموازنة والتشبيه سواء في حالات المديح والتبجيل أم في حالات القدح والذمّ والتصغير والتحقير أو النصح والإرشاد"[١١٦].

وفيما يأتي نماذج من هذه التعابير:

[١١٦] كنايات الشوام في الألقاب والتخاطب والنداء ص ٢

– **آخر العنؤود:** يكنّى بها المولود الأصغر بين الأشقّاء. وهم يعدّون أن: أحبّ الأولاد إلى الأبوين: الصغير حتى يكبر والغائب إلى أن يعود، والمريض حتى يبلّ من مرضه.

– **أكل أصابيعه ندامة:** كناية عمن يحصد الندامة على ما بدر منه أو صدر عنه من خطأ في حق نفسه وحق الآخرين، مما يستوجب الحسرة والندامة.

– **الحسن أخو الحسين:** كناية عن المقاربة بين موقفين أو شخصين كانا على غير وفاق وتفاهم لإحلال التصافي والتسامح والوئام والمحبة بينهما.

– **الدنيا أخِد وعطا:** «أخذ وعطاء» كناية عن تبادل المنافع والأخذ والعطاء في التعامل.

– **حامل السلّم بالعَرض:** من يحشر نفسه في كل أمر، ويعترض على كل حلّ أو تسوية حباً في الظهور وعلى مبدأ خالف تُعرف.

– **صافي يا لبن:** كناية عن صفاء الأمور وانفتاح القلوب بين جانبين لم يكونا على وفاق.

– **ضاعت الطاسة:** ضربت الفوضى أطنابها واختلط الحابل بالنابل، فلم يعُد المرء يعرف رأسه من رجليه. وأصبح الوضع مثل وضع حمّام النسوان الشعبي إذا انقطع الماء عنه.

على هامان يا فرعون: كناية عن عدم جدوى اللفّ والدوران وتحميل الأشياء أكثر من قدرتها، والإكثار من الادّعاء والتفاخر أمام من يعرف حقيقة ذلك. وهم يتبعون ذلك بإقصوصة مقام الشيخ زنكي. الذي كان في الأصل قبر حمار دفنه صاحباه وجعلوا له مقاماً يقصد وتقدّم له النذور. فلما تعالى أحدهما على صاحبه بكرامات الشيخ زنكي «قبر الحمار» قال له صاحبه، كفى نحن دافنينه سوا «سوية».

لا من تمّه.. ولا من كمّه: «فمه» عنوا بذلك المريض الذي يشتدّ عليه المرض فيخلد إلى السكينة عن ما حوله.. ومن أخذته الحجّة وغلبته الحيرة فأرتجّ عليه.

لا هابوب ولا دابوب: كناية عن خلوّ المكان فلا من يهبّ ولا من يدبّ.

– **مِثِل زبديّة الصيني:** ويضيفون إلى ذلك قولهم: من وين ما بترنّها بترِنّ" شبهوا المرأة التي على درجة عالية من النشاط والهمّة في إنجاز ما بيدها على أكمل وجه والتي لا يعيقها عائق بالإناء "تبسة أو زبدية". الصّيني الفائق الجودة.

نشف لسانه: كناية عمن أعيته المحاولات في إقناع صاحبه فلم يفلح، وقد يستعيضون عن اللسان بالريق، اللعاب. للأمر نفسه[١١٧].

وبعد فهذا غيض من فيض، ولدى كل شعب أمثاله الخاصة التي يمكن للمدرس أن يفيد من عرضها، وربطها بما تنطبق عليه من وجوه البلاغة، من جناس أو طباق، أو سجع، أو تشبيه أو استعارة، أو كناية...إلخ.

الخاتمة

لعل خير ما أختم به هذا البحث تلك الوصية التي وصّى بها عُتبة بن أبي سفيان لعبد الصَّمد مؤدِّب ولدِه، فهي تعدل وزارة تربية بما اشتملت عليه من أحكام وأصول، فقد بدأت بإصلاح المعلم، ثم أمرت بكل نافع مفيد للطالب، ونهت عن كل ضارّ مفسد له، لتختم بإكرام المعلم، وفيما يأتي نصها:

قال عُتبة بن أبي سفيان لعبد الصَّمد مؤدِّب ولدِه:

ليكن أوَّلَ ما تبدأُ به من إصلاحك بَنِّي إصْلاحُك نَفسَك؛ فإنَّ أَعينهم معقودة بعينك، فالحسَنُ عِندهم ما استحسنت، والقبيحُ عندهم ما استقبحت.

علِّمْهم كتابَ اللَّه، ولا تُكرِهْهم عليه فيَملُّوه، ولا تتركْهم منه فيهجُروه.

ثم روِّهم من الشِّعر أَعَفَّه، ومن الحديث أَشْرَفه.

ولا تُخْرِجْهم من عِلْمٍ إلى غيره حتّى يحْكموه، فإنَّ ازدحامَ الكلام في السَّمع مَضَلَّةٌ للفهم.

---

[١١٧] كنايات الشوام في الألقاب والتخاطب والنداء . والكنايات مرتبة فيه معجميا.

وعلِّمْهم سِيَرَ الحكماء وأخلاقَ الأدباء، وجنِّبْهُم محادَثة النساء.

وتهدَّدْهم بي وأدِّبْهم دُوني، وكنْ لهم كالطَّبيب الذي لا يَعجَل بالدَّواء حتى يعرف الداء.

ولا تَتّكل على عُذري، فإني قد اتَّكلتُ على كفايتِك.

وزدْ في تأديبهم أزدْك في برّي إن شاء اللَّه.[١١٨]

****

ملحق

مقترح امتحان حاسوبي لقياس وتقييم قدرات اللغة العربية

- **تمهيد**

اللغة وسيلة المعرفة، ووعاء الفكر، وأداة التواصل. ولا سبيل إلى معرفة صحيحة، أو فكر سديد، أو تواصل سهل مفهوم إلا بامتلاك القدرة اللغوية.

و"إذا دب خلل في اللغة دبّ خلل في التفكير" كما يقول زكي نجيب محمود. فبقدر ما تكون اللغة سليمة يكون الفكر دقيقا، وتكون المعرفة على اختلاف أصنافها وأنواعها صحيحة، ومن ثم يكون التواصل ميسورا.

ومن هنا كان أمر العناية باللغة التي تكتسب بها المعرفة حتما لازما، وكان أي تقصير في هذه العناية منعكسا على المادة العلمية التي يحصلها الطالب أو الباحث.

ولما كانت العربية لغة كثير من التخصصات في المرحلة الجامعية، وجب على كل طالب جامعي أن يمتلك الحد المناسب من المعرفة اللغوية، نعني الحد الذي يمكنه من القراءة والفهم والكتابة والتعبير والتواصل، تعزيزا لقدراته وتمكينا له من التحصيل العلمي والأكاديمي.

---

[١١٨] البيان والتبيين ٧٣-٧٤.

من أجل ذلك كله كان لا بد من امتحان يقيس مقدرة الطالب في اللغة العربية، ويحدد إمكاناته، قراءة وفهما وسماعا وتعبيرا باللسان والقلم، تبعا للمستوى المطلوب منه، ولا يحق لأي طالب أن يلتحق بالجامعة مالم ينجح في المستوى المطلوب من هذا الامتحان.

- **تعريف**

الامتحان الحاسوبي لقياس وتقييم قدرات اللغة العربية امتحان يقيس قدرات اللغة العربية للطالب المتقدم للجامعات العربية، أو في غيرها من المؤسسات التي تطلبه، ويمكن أن يستخدم للقبول في الجامعات العربية، وبرامج اللغة العربية في الجامعات الأجنبية، والمؤسسات الأخرى الراغبة فيه.

والامتحان مصمم ليحمَّل على الشابكة (الإنترنت) لإتاحة الفرصة لأكبر عدد من الطلبة لقياس قدراتهم اللغوية.

- **الأهداف**

١. تعزيز مكانة اللغة العربية محليا وعالميا.
٢. قياس مهارات الطلبة في اللغة العربية وتصنيفهم حسب قدراتهم اللغوية.
٣. الارتقاء بطلبة الجامعات العربية ونتاجهم العلمي.
٤. القدرة على كتابة البحوث العلمية والرسائل الجامعية بلغة سليمة.
٥. القدرة على التواصل اللغوي بمستوياته المختلفة.

- **المستويات والشرائح المستهدفة**

ثمة ثلاثة مستويات لهذا الامتحان، تختلف باختلاف الفئة المستهدفة في كل منها، وفيما يأتي بيانها:

١. المستوى الأول: وهو أول المستويات، ويستهدف: الناطقين بغير العربية، ومن على شاكلتهم ممن لم تكن العربية لغة تعليمه، ومن يرغب فيه من الأفراد

والمؤسسات. وهو يختبر الحد الأدنى المطلوب من المهارات اللغوية التي تمكن الطالب من القراءة، والفهم والاستيعاب، والتعبير الكتابي والشفوي.

٢. المستوى الثاني: وهو أوسط المستويات، ويستهدف: الطلاب الراغبين في التسجيل في أي تخصص جامعي- عدا تخصصي اللغة العربية والشريعة - ومن يرغب فيه من الأفراد والمؤسسات. وهو يختبر الحد المطلوب من المهارات اللغوية التي تمكن الطالب من القراءة، والفهم والاستيعاب، والتعبير الكتابي والشفوي.

٣. المستوى الثالث: وهو أعلى المستويات، ويستهدف الطلاب الراغبين في التسجيل في تخصص اللغة العربية أو الشريعة، أو من على شاكتهم ممن يحتاج إلى أعلى المستويات اللغوية كالإعلاميين والحقوقيين. وهو يختبر الحد الأعلى المطلوب من المهارات اللغوية التي تمكن الطالب من قراءة النصوص الشرعية أو الأدبية، أو القانونية، وفهمها واستيعابها وتذوقها، والتعبير الكتابي والشفوي بكفاية وبيان.

- **محاور الامتحان**

يتكون هذا الامتحان بمستوياته الثلاثة من خمسة أجزاء تختبر مقدرة الطالب في المهارات اللغوية الأساسية، وهي: فهم النصوص المكتوبة، وإدراك البنية اللغوية والتعابير الكتابية، وفهم الكلام المسموع، والقدرة على التعبير الكتابي، والقدرة على التعبير الشفوي.

وفيما يأتي بيانها في كل مستوى من مستويات الامتحان:

أ - في المستوى الأول

أولا: فهم النصوص المكتوبة

- يعطى الطالب نصا عاما طوله نحو ٣٠٠-٤٠٠ كلمة، ويطلب منه الإجابة عن ١٠ أسئلة تتناول فهم النص، وتحديد أفكاره، ومعاني مفرداته، ووظائفها.

ثانيا: إدراك البنية اللغوية والتعابير الكتابية

- ويتألف من ٢٥ سؤالا، يجيب فيها الطالب عن نوعين من الأسئلة:

أ – فراغات يطلب ملؤها في ١٠ جمل (قد يكون الفراغ كلمة وقد يكون جملة).

ب –كلمات يطلب بيان موضع الخطأ فيها، وتقع في ١٥ جملة، يوضع في كل منها خط تحت ٤ كلمات، وعلى الطالب أن يحدد موضع الخطأ فيها.

ثالثا: فهم الكلام المسموع

- ويتألف من ١٠ أسئلة يجيب فيها الطالب عن نوعين من أنواع الكلام المسموع:

أ – نص مسموع لمدة ٢ — ٣ دقائق.

ب – محادثة قصيرة بين شخصين.

رابعا: القدرة على التعبير الكتابي

- ويتألف هذا المحور من سؤال واحد، يطلب فيه من الطالب كتابة ملخص في نحو ١٠٠–١٢٠ كلمة لنص طوله نحو ٣٠٠–٣٥٠ كلمة. وذلك خلال ٣٠ دقيقة.

خامسا: القدرة على التعبير الشفوي

- يرتجل الطالب شفهيا حديثا مدته ٢–٣ دقائق في موضوع يحدد له.

ب - في المستوى الثاني

أولا: فهم النصوص المكتوبة وضبطها

أ – يعطى الطالب نصا مناسبا لهذا المستوى طوله نحو ٤٠٠–٥٠٠ كلمة، و يطلب منه الإجابة عن ١٠ أسئلة تتناول فهم النص، وتحديد أفكاره، ومعاني مفرداته، ووظائفها.

ب – يطلب ضبط فقرة من النص السابق لا تزيد على ٦٠ كلمة بالحركات (أي تشكيلها) ضبطا نحويا. (الضبط لآخر الكلمة وما يتصل بها من ضمائر وللشدة أنَّ كانت).

ثانيا: إدراك البنية اللغوية والتعابير الكتابية

- ويتألف من ٣٠ سؤالا، يجيب فيها الطالب عن نوعين من الأسئلة:

أ – فراغات يطلب ملؤها في ١٢ جملة (قد يكون الفراغ كلمة وقد يكون جملة).

ب – كلمات يطلب بيان موضع الخطأ فيها، وتقع في ١٨ جملة، يوضع في كل منها خط تحت ٤ كلمات، وعلى الطالب أن يحدد موضع الخطأ فيها.

ثالثا: فهم الكلام المسموع

- ويتألف من ١٢ سؤالا يجيب فيها الطالب عن نوعين من أنواع الكلام المسموع:

أ – نص مسموع لمدة ٣ — ٤ دقائق.

ب – حوار بين شخصين.

رابعا: القدرة على التعبير الكتابي

- ويتألف هذا المحور من سؤال واحد، يطلب فيه من الطالب كتابة ملخص في نحو ١٢٠– ١٥٠ كلمة لنص طوله نحو ٣٥٠–٤٠٠ كلمة. أو كتابة مقال في موضوع محدد. وذلك خلال ٣٠ دقيقة.

خامسا: القدرة على التعبير الشفوي

- يرتجل الطالب شفهيا حديثا مدته ٣–٤ دقائق في موضوع يحدد له.

ج - في المستوى الثالث

أولا: فهم النصوص المكتوبة وضبطها وقراءتها

أ – يعطى الطالب نصين متخصصين، أحدهما شعري أو قرآني، ويطلب منه الإجابة عن ٥ أسئلة لكل منهما تتناول فهم النص، وتحديد أفكاره، ومعاني مفرداته، ووظائفها، وتذوق بلاغته ومواطن الجمال الأدبي فيه.

ب – يطلب ضبط فقرة من النص السابق لا تزيد على ٧٠ كلمة بالحركات (أي تشكيلها) ضبطا نحويا. (الضبط لآخر الكلمة وما يتصل بها من ضمائر وللشدة أنَّ كانت).

ج – يطلب قراءة الفقرة السابقة.

ثانيا: إدراك البنية اللغوية والتعابير الكتابية

- ويتألف من ٤٠ سؤالا، يجيب فيها الطالب عن نوعين من الأسئلة:

أ – فراغات يطلب ملؤها في ١٥ جملة (قد يكون الفراغ كلمة وقد يكون جملة).

ب – كلمات يطلب بيان موضع الخطأ فيها، وتقع في ٢٥ جملة، يوضع في كل منها خط تحت ٤ كلمات، وعلى الطالب أن يحدد موضع الخطأ فيها.

ثالثا: فهم الكلام المسموع

- ويتألف من ٢٥ سؤالا يجيب فيها الطالب عن نوعين من أنواع الكلام المسموع:

أ — حوار علمي مدته ٣–٤دقائق.

ب – أستاذ يحاضر لمدة ٥ دقائق.

رابعا: القدرة على التعبير الكتابي

ويتألف هذا المحور من سؤال واحد، يطلب فيه من الطالب كتابة مقال في موضوع محدد. وذلك خلال ٣٠ دقيقة.

خامسا: القدرة على التعبير الشفوي

يرتجل الطالب شفهيا حديثا مدته ٤–٥ دقائق في موضوع يحدد له.

****

المراجع

- **آداب العلماء والمتعلمين**، الحسين بن المنصور اليمني، المكتبة الشاملة على الشابكة.
- **أسلوب معالجة اللغة العربية في المعلوماتية**، أ.مروان البواب د. مُحَمَّد حسان الطيان، فصل من كتاب استخدام اللغة العربية في المعلوماتية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٩٦.
- **البحث العلمي :أسسه.مناهجه وأساليبه.إجراءاته.** د. ربحي مصطفى عليان، بيت الأفكار الدولية، عمان ٢٠٠١ .
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١ هـ)، تحقيق مُحَمَّد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٨٤ هـ-١٩٦٤ م.
- **البيان والتبيين**، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- **تحت راية العربية**، د. مُحَمَّد حسان الطيان، دار الثقافة والتراث، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- **التذكرة الحمدونية**، مُحَمَّد بن الحسن بن مُحَمَّد بن علي بن حمدون، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- **تعلم قواعد اللغة العربية بالحاسوب**،أ. مروان البواب د.مُحَمَّد حسان الطيان م. مُحَمَّد مسلم الحمصي. بحث في سجل الندوة العلمية الثالثة حول واقع المعلوماتية في سورية ٢٥-٣٠ نيسان ١٩٩٥.
- **التيسير في قواعد اللغة العربية**، عبد الله الدنان، دار البشائر، (٢٠٠٩) دمشق.
- **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)** مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- **حجة القراءات**، أبو زرعة عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني،

مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م.

- **الحيوان**، الجاحظ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ.
- **خزانة الأدب وغاية الأرب**، ابن حجة الحموي، تحقيق عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار - بيروت، ٢٠٠٤م.
- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- **الزمن في اللغة**. د. مُحَمَّد حسان الطيان، مقال في مجلة التقدم العلمي العد٧١ ديسمبر ٢٠١٠ ص٤٠.
- **زهر الآداب وثمر الألباب**، إبراهيم بن علي الحُصري القيرواني، دار الجيل، بيروت.
- **شرح شافية ابن الحاجب**، مُحَمَّد بن الحسن الرضي الإستراباذي، تحقيق مُحَمَّد نور الحسن وزملائه، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، أحمد بن فارس الناشر: مُحَمَّد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧مز
- **العرب والخيار اللغوي**، د. أحمد ضبيب، نادي القصيم الأدبي في بريدة،ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- **العربية وطرائق اكتسابها**، د. مُحَمَّد حسان الطيان، منتدى النهضة والتواصل الحضاري، الخرطوم، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- **عيون الأخبار، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٨ هـ**
- **غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة**، مُحَمَّد بن إبراهيم المعروف بالوطواط، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م

- **فقه اللغة وسر العربية**، عبد الملك بن مُحَمَّد الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- **كتابات في النقد**، د. عبد اللطيف عبد الحليم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- **كيف تكون معلما مؤثرا**، بدر حسين، دار الفكر، دمشق، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- **اللغة العربية والتعليم – رؤية مستقبلية للتطوير** ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي ٢٠٠٨م.
- اللغة والمتغير الثقافي – الواقع والمستقبل، د. عبد الله التطاوي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- **مثالب الوزيرين**، أبو حيان التوحيدي، تحقيق مُحَمَّد بن تاويت الطنجي، دار صادر – بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- **مجمع الأمثال**، أبو الفضل أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، لبنان.
- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهانى، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم — بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠
- **المستطرف في كل فن مستطرف**، شهاب الدين مُحَمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي ، عالم الكتب — بيروت، ١٤١٩ هـ.
- **مستقبل اللغة العربية**، د. أحمد الضبيب، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ١٤٣٥هـ.
- **مع المعلمين**، د. مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن مُحَمَّد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين — القاهرة.

- **مقالات العلامة الدكتور محمود مُحَمَّد الطناحي**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق د.علي عبد الواحد وافي، القاهرة – دار نهضة مصر، ط٣.
- **ملامح من بيان العربية وجمالها**، د. مُحَمَّد حسان الطيان، إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف، الكويت،١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.
- **من رجالات دمشق – خواطر وسوانح وذكريات**، د. مُحَمَّد حسان الطيان، دار المقتبس، بيروت، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

****